وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج البويرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في تاريخ الإسلامي الوسيط تحت عنوان:

فئات المجتمع في عصر المرابطين

434هـ – 541هـ/1059م – 1147م.

إعداد الطالبتين:

- كنزة مصاري
- جميلة بعلي

إشراف الأستاذ:

– فاتح بريكي

السنة الجامعية:

2014م/2015م – 1435هـ/1436هـ

شكر وعرفان:

الحمد لله العظيم المتعال الموفق لخير الأعمال

حمدا كثيرا كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه والصلاة

والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم خير الأنام وصحابته

الذين أعزهم الله بالإسلام.نتقدم بالشكر والعرفان الجميل إلى الأستاذ

المشرف "بريكي فاتح" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته واقتراحاته القيمة، ونشكره

على تواضعه وتحمله لنا طيلة البحث.

كما نتقدم بشكرنا إلى كل أساتذة التاريخ الذين درسونا

طيلة المرحلة الجامعية.

اللهم نسألك العفو والعافية والتوفيق والرضا

آمين

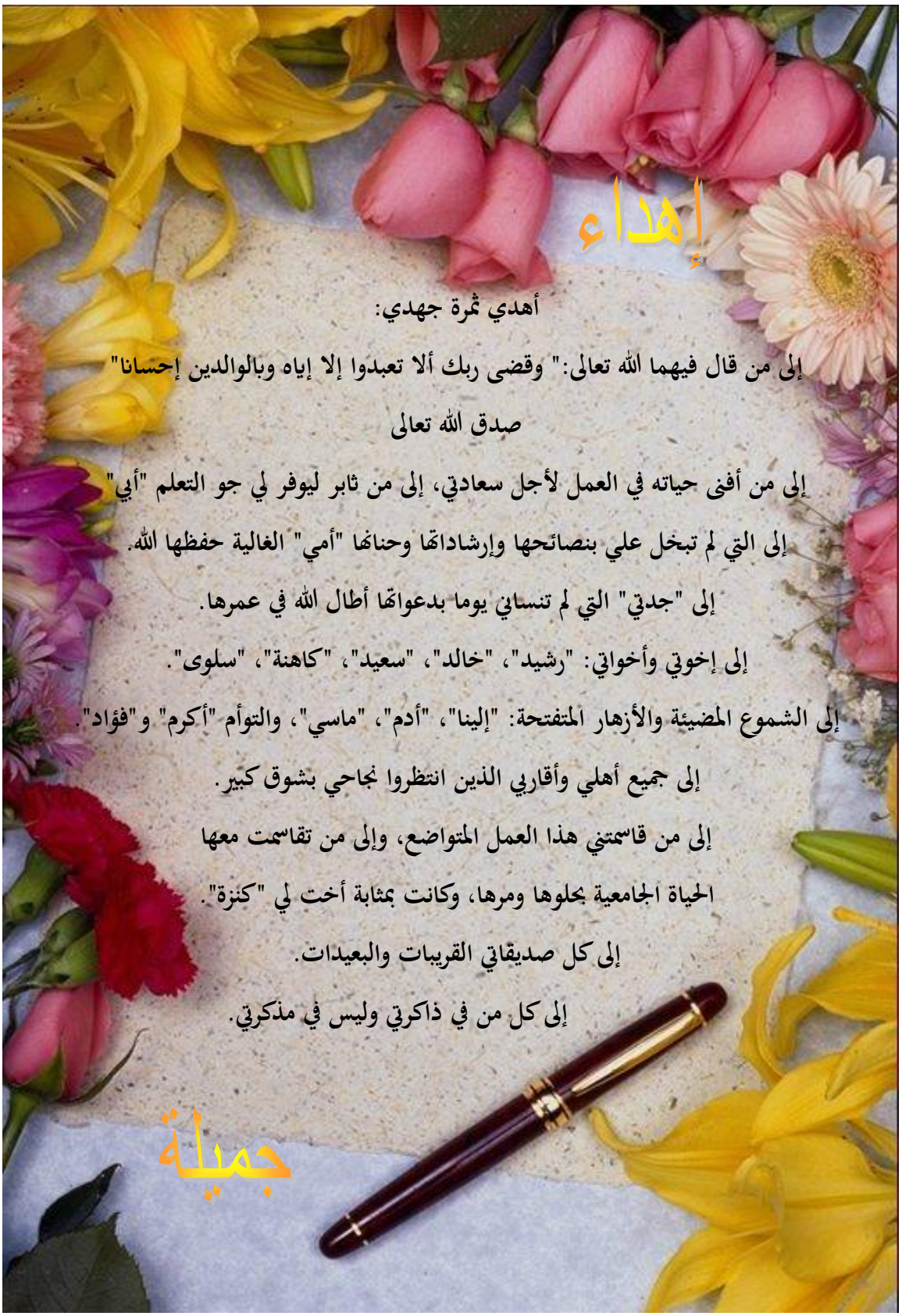

إهداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى من قال فيهما الله تعالى:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"

صدق الله تعالى

إلى من أفنى حياته في العمل لأجل سعادتي، إلى من ثابر ليوفر لي جو التعلم "أبي"

إلى التي لم تبخل علي بنصائحها وإرشاداتها وحنانها "أمي" الغالية حفظها الله.

إلى "جدتي" التي لم تنساني يوما بدعواتها أطال الله في عمرها.

إلى إخوتي وأخواتي: "رشيد"، "خالد"، "سعيد"، "كاهنة"، "سلوى".

إلى الشموع المضيئة والأزهار المتفتحة: "إلينا"، "أدم"، "ماسي"، والتوأم "أكرم" و"فؤاد".

إلى جميع أهلي وأقاربي الذين انتظروا نجاحي بشوق كبير.

إلى من قاسمتني هذا العمل المتواضع، وإلى من تقاسمت معها

الحياة الجامعية بحلوها ومرها، وكانت بمثابة أخت لي "كنزة".

إلى كل صديقاتي القريبات والبعيدات.

إلى كل من في ذاكرتي وليس في مذكرتي.

جميلة

إهداء

إلى التي أهدتني سنين عمرها، وغمرتني بحنانها وعطفها وحبها،

ودعائها، أدامها الله شمعة في بيتنا..."**أمي**".

إلى من مهد لي الدرب و ألهمني الفضيلة،

وغرس في نفسي الطموح والمثابرة..."**أبي**".

إلى إخوتي: "**محند أكلي**"، "**منير**".

إلى أخواتي: "**زهرة**"، "**زهية**"، **فايزة**"، "**حكيمة**".

إلى التوأمان برعما العائلة: "**سليم**"، "**رسيم**".

إلى شريك حياتي وسر سعادتي: "**حكيم**".

إلى شمعة البيت وضيائها: الكتكوتة "**أنفال**".

إلى والدي زوجي: خالي "**الحسين**" و خالتي "**وردية**".

إلى إخوة زوجي: "**يزيد**"، "**مالك**"، "**يويو**" وزوجاتهم: "**فاطمة**"، "**ليلى**"، "**سهيلة**".وأولادهم.

إلى أخوات زوجي: "**جميلة**" "**نورة**" "**زهية**" "**نادية**" وأزواجهن : "**سمير**"، "**فريد**"، "**محمود**"، "**محمد**" وأولادهم.

إلى رفيقة دربي وحاضنة أسراري: "**جميلة**".

إلى كل عائلتي وكل من عرفني.

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي، أهدي ثمرة جهدي.

كنزة

الخطة

مقدمة.

الفصل الأول: الدولة المرابطية.

المبحث الأول: النشأة والتأسيس.

المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية للمرابطين.

المطلب الأول: الطبقة الحاكمة.

المطلب الثاني: الطبقة المتوسطة.

المطلب الثالث: الطبقة العامة.

الفصل الثاني: المكونات البشرية لعناصر المجتمع المرابطي.

المبحث الأول: المجموعات البشرية المسلمة.

المطلب الأول: البربر.

المطلب الثاني: العرب.

المطلب الثالث: الأقليات الأخرى.

المبحث الثاني: المجموعات البشرية غير المسلمة.

المطلب الأول: اليهود.

المطلب الثاني: النصارى.

الخاتمة.

الملاحق.

قائمة المصادر والمراجع.

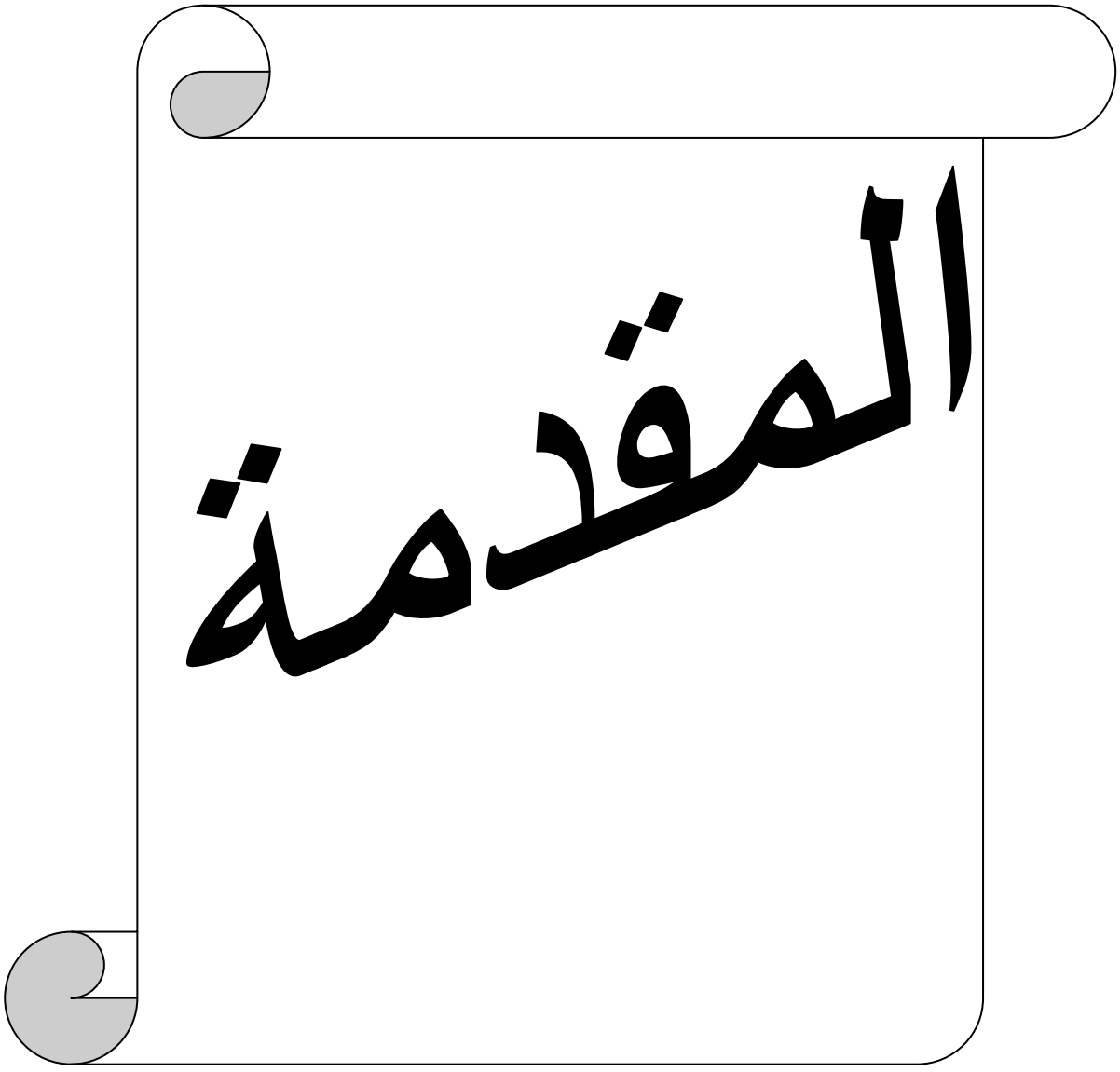
المقدمة

مقدمة:

دولة المرابطين دولة إسلامية مغربية، قامت على الجهاد، ونشر الإسلام فيما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (11،12م) وذلك في ضوء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان لقيامها دور كبير وأثر بالغ الأهمية في المغرب والأندلس، فقد استطاعت أن تكون كيانا اجتماعيا قويا رغم اختلاف العناصر البشرية المكونة للمجتمع المرابطي.

أسباب اختيار الموضوع:

رغبة منا في التعرف على الواقع الاجتماعي الذي عاشت في ظله تلك العناصر المكونة لهذا المجتمع، وإعطاء صورة ولو بسيطة للقارئ حتى تتكون لديه فكرة عنه، ارتأينا إلى اختيار موضوع فئات المجتمع في عصر المرابطين عنوانا لبحثنا هذا، وكذلك باعتباره موضوع يثير الاهتمام.

إشكالية الموضوع:

وأول ما يتبادر إلى الذهن حول هذا الموضوع من إشكال هو:

ما هو التصنيف الطبقي للمجتمع المرابطي؟ أو بصيغة أخرى، ما هي التركيبة الاجتماعية للمجتمع المرابطي؟ وما العناصر البشرية التي يتشكل منها ؟ وكيف استطاعت الدولة المرابطية أن تجمع بين عناصر مختلفة من بربر وعرب وأقليات أخرى وبين أهل الذمة ؟.

خطة البحث:

للإجابة عن التساؤلات قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين.

فالمقدمة كانت للتعريف بالموضوع وأسباب اختياره و إشكاليته وخطة العمل والمنهجية المتبعة في البحث مع ذكر أهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث والصعوبات التي عارضتنا في إنجاز هذا البحث.

فالفصل الأول: والذي بدوره قسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول تناولنا فيه نشأة دولة المرابطين وتأسيسها. والمبحث الثاني تحدثنا عن الطبقات الاجتماعية، بحيث ينقسم المجتمع المرابطي إلى ثلاث طبقات متباينة فيما بينها، والمتمثلة في الطبقة الحاكمة التي تمثل الطبقة العليا في المجتمع، والتي تتكون من الأمراء، والوزراء والكتّاب، الفقهاء، وقادة الجيش.

ثم تطرقنا إلى الطبقة المتوسطة المتكونة من القضاة، التجار، أصحاب المهن الحرة كالمهندسين والأطباء، وختمت الفصل بالتطرق إلى الطبقة العامة المشكلة أساسا من الفلاحين والصناع وكذلك صغار التجار والباعة المتنقلون.

أما الفصل الثاني: الذي خصصناه للتحدث عن المكونات البشرية لدولة المرابطين فقمنا بتقسيمه إلى مبحثين:

فالمبحث الأول: تناولنا فيه المجموعات البشرية المسلمة فبدأنا بالبربر الذين يشكلون السواد الأعظم من المجتمع في فترة الدراسة، فذكرنا أهم القبائل التي كانت تمثل النواة الأولى للدولة المرابطية، وكذلك التي كانت تتخذ من المغرب موطنا لها، وانتقلنا إلى ثاني أهم عنصر من سكان المغرب المتمثل في العنصر العربي الذي استوطن العدوتين المغربية والأندلسية، مشكلا بذلك أهم تجمع بعد العنصر البربري سواء في المغرب والأندلس مع الإشارة إلى المولدين. وفي آخر هذا المبحث تطرقنا إلى الأقليات الأخرى المتمثلة في الصقالبة والروم والسودانيون.

أما المبحث الثاني: فتطرقنا فيه إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى مع ذكر مناطق استقرارهم وأهم أعمالهم ومكانتهم بين المجتمع المرابطي.

انهينا البحث بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها وحاولنا الإجابة على الإشكالية المطروحة، وألحقت بعد ذلك بمجموعة من الملاحق التي رأينا أنها تخدم الموضوع، كذلك ذكرنا قائمة المصادر والمراجع المستعملة في هذا البحث.

منهجية البحث:

اعتمدنا في بحثنا هذا على السرد التاريخي للأحداث وتحليلها، وكانت عملية السرد طبقا لما جاء من معلومات اعتمادا على المصادر، وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التاريخية، وقد كان ذلك خاصة في حديثنا عن العناصر السكانية المشكلة للمجتمع المرابطي، وتخللت عملية سرد الأحداث منهج التحليل لهذه الأحداث لتبيان ما أمكن تبيانه من الحقائق والجوانب الخفية.

المصادر و المراجع المعتمدة :

إن دراسة التاريخ الاجتماعي في أي عصر من العصور يتطلب من الباحث العودة إلى مصادر متنوعة سواء كانت تلك المصادر تاريخية أو جغرافية أو فلسفية على اختلاف أنواعها، وذلك لتناثر المعلومات بين هذه المصنفات وليس هناك مصنف واحد يجمع مثل هذه المعلومات.

ومن أبرز ما اعتمدنا عليه في بحثنا هذا نذكر:

– كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر من أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن ابن خلدون الذي يعد من أهم المصادر الرئيسية التي تعالج تاريخ المغرب معالة تفصيلية، وعليه يعتبر موسوعة تاريخية شاملة، ولأن معظم النظريات التاريخية التي استنبطها ابن خلدون كانت نتيجة دراسة لتاريخ المغرب، إلى جانب تجاربه الخاصة أثناء عمله وتجواله في دول المغرب، وكذلك ابن خلدون بفضل علمه ومركزه الاجتماعي كان في موقف يسمح له بالاطلاع على أمهات ومراجع تاريخ المغرب.

– كتاب " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لابن عذارى الم المراكشي بأجزائه الأربعة من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، ولا يمكن الاستغناء عنه لاسيما عند التأريخ لدولة المرابطين، وتناول ابن عذارى تاريخ

المغرب والأندلس منذ الفتح حتى أواخر القرنيين الخامس والسادس للهجري، والجزء الرابع خاص بالمرابطين.

– كتاب " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع، فهو يشمل على تاريخ المغرب عموما ومدينة فاس خصوصا، ويعتبر من أهم المصادر نظرا لشموله ووفرة أخباره.

–أما كتاب" الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" لمؤلف مجهول فهو يعتبر من أمهات الكتب المفيدة للبحث في تاريخ المرابطين، لاسيما وأن صاحبه استقى معلوماته من مصادر جلها يعتبر في حكم المفقود، وقد أفادني الكتاب في مواضيع كثيرة في البحث.

– كتاب "المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" للبكري يعد من المصادر الجغرافية الهامة الذي أفادنا في الدراسة، لاسيما وأن البكري عاصر المرحلة الأولى من قيام دولة المرابطين.

– كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل الذي اعتمدنا فيه في إبراز بعض النقاط المهمة في البحث، ناهيك عن المعلومات القيمة التي أمدنا بها عن المراكز التجارية المنتشرة في جنوب المغرب الأقصى.

لكن هذا لا يعني أننا وضعنا المراجع جانبا، بل استفدنا منها كثيرا خاصة في التوسع فيما أشارت إليه المصادر، ومنها:

– كتاب "مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" لإبراهيم القادري بوتشيش، الذي استفدنا منه كثيرا في بحثنا وذلك لما شمله من تفصيل كامل عن الدولة المرابطية، بالإضافة إلى كتاب "الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي" لجمال طه. وكتاب "التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في

عصر المرابطين" لحمدي عبد المنعم، إضافة إلى مراجع أخرى ساعدتنا في إتمام هذا البحث بما تحتويه من معلومات قيمة حول الموضوع.

الصعوبات:

ومن الصعوبات التي واجهتنا وضع الخطة للمذكرة، نظرا لاقتصار العنوان على دراسة فئات المجتمع المرابطي فقط، ولا يتضمن فروع عدة من أجل التوسع فيها أكثر، وكذلك عدم وجود دراسات سابقة خاصة في جامعة البويرة، لكوننا الدفعة الأولى وعدم توفر الوقت والإمكانيات للتنقل للجامعات الأخرى.

الفصل الأول: الدولة المرابطية.

المبحث الأول: النشأة والتأسيس.

المبحث الثاني: التركيبة الاجتماعية للمرابطين.

المطلب الأول: الطبقة الحاكمة.

المطلب الثاني: الطبقة المتوسطة.

المطلب الثالث: الطبقة العامة.

المبحث الأول : النّشأة والتّأسيس

كان المغرب الأقصى قبل القرن 5هـ – 11م تحكمه إمارات متفرقة ، متناحرة فيما بينها في صراع داخلي على السّلطة، ممّا بعثر قوى المغاربة لانعدام حكومة مركزية موحّدة تفرض وجودها على السّلطة، فانعكس ذلك عن الأوضاع السّياسية والاجتماعيّة، والاقتصادية بعد أن بلغت الفوضى والاضطرابات ذروتها.

وفي الوقت الّذي كانت البلاد تمر بتلك الحالة، شهدت المنطقة الجنوبية من المغرب الأقصى قيام حركة دينية تحت زعامة "عبد الله بن ياسين"[1]، هدفها تلقين سكان تلك المنطقة تعاليم الدّين الإسلامي، وسرعان ما التفّ النّاس حوله خصوصا وأنّهم وجدوا في ذلك خدمة لمصالحهم بحيث أُطلق عليهم اسم المرابطين، وذلك لالتزامهم الرباط الّذي كانوا يتلقون فيه التّعاليم الإسلاميّة، ومنه أخذت الدّولة هذا الاسم أي دولة المرابطين والتي تأسست سنة 434هـ-541هـ/1059م-1147م، حيث كانت تتكوّن من قبائل صنهاجيّة منها: مسوفة، جدالة، لمتونة...واشتهرت هذه القبائل باسم الملثّمين، وسبب تسميتهم بذلك :" أن أجدادهم من حمير كانوا يتلثّمون لشدّة الحر"[2]. ويذهب إلى هذا الرّأي من ظنّ أنّ أصل قبائل صنهاجة يرجع إلى الهجرات القديمة من

---

[1]– هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي ولد في قرية تمامونت في طرف صحراء غانة، رحل إلى الاندلس في عهد ملوك الطوائف و حصل علما كثيرا، دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي عام 430هـ/1038م إلى ديار جدالة، –انظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تح: دي سلان، ط2، باريس، 1911م، ص165.

[2]–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت،1979م، ص327.

المشْرِق لأسباب متعدّدة منها: اقتصادية، وسياسيّة، ومنها أنّهم آمنوا بالرّسول صلى الله عليه وسلم، وكانوا قلة فاضطرّوا للهرب لمّا غلبهم أهل الكفر، فتلثّموا بقصد التّمويه وقيل: إنّ طائفة منهم أَغارت على عدّو لهم فخالفهم إلى مواطنهم وهي خالية إلّا من النّساء، الأطفال، الشّيوخ فأمر الشّيوخ النّساء بأنْ يرتدين لباس الحرب ويتلثّمن، ففرّ الأعداء وهكذا اتّخذوا اللّثام سنّة يلازمونه وشعارا يميّزهم عن سائر قبائل المغرب، وهم يتّخذون اللّثام منذ طفولتهم فيعتقدون أنّ ظهور الفم عورة يجب إخفائها[1].

فيذكُر البِكري " أنّهم لا يفارقون ذلك (اللّثام) في أيّ حال من الأحوال ولا يميّز رجل من وليّه، ولا حميمه إلاّ إذا تنقّب، وكذلك في المعارك، إذا قتل منهم القتيل، وزال قناعه، لم يُعلم من هو حتّى يعاد عليه القناع، وصار ذلك ألزم من جلودهم، وهم يسمّون من خالف زيّهم هذا من جميع النّاس أفواه الذّبان "[2].

وكان موطن الملثّمين الصّحراء الكبرى الممتدّة من غدامِس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومن جبال درن شمالا إلى أواسط الصّحراء الكبرى جنوبا[3].

ويرجع إسلام المُرابطين إلى ما بعد فتحْ الأندلس، وكانت رِئاستهم في قبيلة لمتونة حيث توارث رجالها المُلك مدة طويلة من الزّمن، وجاهدوا من جاورهم من بلاد السّودان وأدْخلوهم إلى الدّين الإسلامي، ودانوا لهم بالطّاعة والولاء ثمّ افترق شمْل اللّمثونيين،

---

[1]– ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م، ص99.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص170.

[3]– علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003، ص12.

وظلّوا فترة من الزّمن على هذا الحال حتّى قام محمّد بن تيفارت اللّمثوني، فاجتمعوا عليه وبايعوه على الطّاعة والولاء، فمكث فيهم ثلاثة أعوام فاستُشْهِد في إحدى غزواته لبلاد السّودان، فخلفه يحي بن إبراهيم الجدالي[1].

في سنة 427هـ/1036م خرج يحي بن إبراهيم من ديار الملثّمين لأداء فريضة الحجْ تاركا الحكم لإبراهيم، وبعد أدائها انطلق الأمير يَحْيَ يبْحث عن المعرفة ويرتاد مدارس المغرب الفقهيّة طلبا للعلم، فاتّجه شَطْر القَيْروان والّتي كانت آنذاك عاصمة العِلم[2]، وارتاد مجلس الفَقِيه أبي عُمران الفاسي فأُعْجِب به وطلب منه أن يبحث معه أحد تلاميذه ليقوم بمهمة التّعليم والإرشاد في بلاده، لكن التّلاميذ استصعبوا الحياة الشّاقة في الصّحراء، فأحال أبو عمران على تلميذه الشّيخ أبي محمّد والحاج السّوسي وأُعْجِب به بما لمسه فيه من حب للخير وحرصه على التعلم.

وتذكر بعض كتب التاريخ أن أبا عمران الفاسي هو الذي وضع الخطوط الأولى مع الزعيم يحي بن إبراهيم لقيام دولة صحراوية سنية في المغرب على أسس دينية[3].

وصل يحي بن إبراهيم إلى نفيس من بلاد المصامدة وأبلغ الشيخ أبا محمد ما يرجوه منه الشّيخ أبا عمران، فانْتدب لذلك عبد الله بن ياسين، فلمّا وصل إلى الصّحراء

---

[1]– حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997، ص37.

[2]– سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص ص19–20.

[3]– علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص15.

صحبة الأمير يحي شرع في مهمّة الدّعوة وحمل الناس على الرّجوع لتعاليم الإسلام الصحيحة، لكنه اصطدم بمعارضة قامت ضدّه وثاروا عليه فغيّر عبد الله طريقته الإرشاديّة، فبدأ بالتّكوين الفردي وأسّس رباطا مع أصحابه وتوافد عليه كل من رغب في العبادة والتّقوى، وعندما أسّس المرابطون بقوّتهم المادية والرّوحية خرجوا إلى قبائل صنهاجة الصّحراوية ووحّدوها، وذهب ضحيّتها يحي بن إبراهيم فخلفه يحي بن عمر اللّمثوني وأصبح عبد الله بن ياسين القائد الروحي ويحي بن عمر القائد السياسي، ووضعوا نواة الدولة المرابطية بالصّحراء[1].

وفي سنة 445هـ/1053م خرج المرابطون من الصحراء لاستكمال عملية الفتح فاتجهوا إلى درعة* وطردوا منها عاملها مسعود، ثم اتجهوا إلى سجلماسة واستولوا على المدينتين وأمر المرابطون ابن ياسين بإزالة المنكرات ثم عين حاكما للمتونيا على سجلماسة.[2]

وبعد مقتل الأمير بن يحي عام447هـ/1055م في إحدى المعارك عين ابن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمثوني والذي خرج في عام 448هـ/1056م على رأس

---

[1]– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي من الغزو الفرنسي، م3، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص10.

* دولة تقع في صحراء المغرب بنيت سنة 140هـ/ 757م، أسسها مدرار بن عبد الله وهي مقصد للوارد والصادر كثيرة الخضر والجنات، عن: الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984، لبنان، 1975م، ص 205.

[2]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص13.

قوات كبيرة للغزو والفتح فتمكن من إخضاع جزولة وفتح تارودانت* قاعدة إقليم السوس الأقصى وبلاد المصامدة .[1]

بينما توجه ابن ياسين لمحاربة قبائل برغواطة بتامسنة وجرت بينهم عدة معارك خرج في إحداها بن ياسين وتوفي متأثرا بجراحه سنة 450هـ/ 1058م.

واصل أبا بكر بن عمر اللمثوني الجهاد وتمكن من تحقيق عدة انتصارات على برغواطة* ليعود فيما بعد إلى عاصمة المرابطين أغمات[2].

وفي سنة 453هـ/ 1061م بلغ أبا بكر بن عمر اللمثوني أن حصل خلاف بين المرابطين واللمثونيين والمسوفيين، فرحل إلى الصحراء بعد أن ولى ابن عمه يوسف بن تاشفين* مكانه الذي قام ببناء مدينة مراكش عام أو سنة 454هـ/ 1062م.[3]

---

* قرية كبيرة توجد على نهر وادي ماست الذي يشق مدينة سوس، المتواجدة بأقصى بلاد المغرب، عن: الحميري، المصدر السابق، ص 330.

[1]– علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص11.

* دولة نشأت في القرن الثاني للهجرة بإقليم تامسنة، تمتد من مدينة الرباط إلى ثغر فضالة وتنتهي عند أزمور عند مصب وادي أم الربيع، عن: أحمد مختار العبادي، الصقالبة في أرض اسبانيا وعلاقتهم بحركات الشعوبية، مدريد، 1953، ص 70.

[2]– الحميري، المصدر السابق، ص 207.

* هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمثوني الحميري أبو يعقوب أمير المسلمين وملك الملثمين، ولد 410هـ–500هـ، عن: خير الدين الزركلي، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، ج8، ط1، بيروت، 1986، ص 222.

[3] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط13، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1991م، ص 45.

وفي عهد يوسف بن تاشفين تم فتح المغرب الأقصى، كما عمل على إعطاء ملكه صفة شرعية حيث دعا للخليفة العباسي والذي أرسل إليه يقلده حكم البلاد المغربية وكل ما يفتحه.

أما بلاد الأندلس التي تكالب عليها الروم فقد استنجدوا بالقائد يوسف بن تاشفين، فلبى الدعوة وقام بتوحيد الجهود وتنظيم الجيش المرابطي، مع الجيش الأندلسي لمواجهة الخطر المسيحي، والتقى الطرفان في موقعة حاسمة وهي معركة الزلاقة في رجب 479هـ/ 1086م كان النصر فيها للمسلمين، استمر الجهاد في الأندلس وبهذا أصبحت الأندلس تحت سلطة المرابطين[1].

وبعد أن أتم يوسف بن تاشفين هذه الأعمال الجليلة بالمغرب وبلاد الأندلس توفي قرير العين عام 1106م (محرم500هـ) وخلف وراءه إمبراطورية واسعة تمتد من البليار شرقا إلى أحواز طليطلة شمال الأندلس غربا وإلى أعماق الصحراء جنوبا ورغم أن ابنه عليا حاول أن يدير هذه الإمبراطورية وينظم شؤونها ولكن من جاؤوا لم يكونوا في المستوى المطلوب، ولذلك تمكن الموحدون بسرعة من تصفية هذه الدولة ليحلوا هم محملها[2].

[1]–ابن ابي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس بأخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أوبسالة، ص78.

[2] – حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص59.

المبحث الثاني: التّركيبة الاجتماعية للمرابطين

شهد المجتمع في المغرب في عهد المرابطين تنوّعا في طبقاته وطوائفه نتيجة الظّروف السّياسية والاتّجاهات الفكريّة الّتي مرّ بها المغرب، يضاف إلى ذلك تنوّع النّشاط السّكاني الّذي أسفر عنه التّعدد في أصحاب المهن والحرف، فشمل المجتمع طبقات وفئات متباينة من النّاس[1] ومن هذه الطّبقات المكوّنة للمجتمع المرابطي نذكر:

المطلب الأول: الطبقة الحــاكمة

1-الأمراء:

لقد أمدتنا المصادر التاريخية المعاصرة للفترة المرابطية بمادة وفيرة عن أحوال هذه الطبقة الاجتماعية نظرا لاهتمام المؤرخين برصد أخبارهم، فقد اختلفت الحالة الاجتماعية للجيل الأول من الأمراء عن الجيل الثاني، إذ تميز الأول بمحافظته على تراثه الصحراوي وبداوته وتقشفه في الملبس والمأكل، واقتصاره على الضروري من العيش.

وأهم شيء يبرز ذلك أن يوسف بن تاشفين الذي عاش حياة بسيطة على طريقة البربر، و اشتهر بلباسه الصوفي، وطعامه خبز الشعير مع لبن الإبل[2].

---

[1]- جمال طه، الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء للطباعة النشر، الإسكندرية، 2004، ص40.

[2]- محمد أسعد أطلس، تاريخ العرب، م1، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م، ص ص125-126.

غير أن هذا التقشف في العيش سرعان ما تغير منذ تولي علي بن يوسف إمارة المرابطين، إذ مثّل مرحلة الحضارة والترف فأصبح التألق في اللباس والطعام عادة مألوفة لدى الأمراء[1].

تجلت مظاهر الترف لدى الأمراء المرابطين حين أغدق عليهم أمراء الثغور عليهم بالهدايا والتحف المملوكية، ولعل مايبرز مدى الثراء الفاحش الذي عمهم هدية يوسف بن تاشفين لابن عمه أبي بكر بن عمر التي كانت معظم موادها محلاة بالذهب[2]، بالإضافة إلى تأنقهم في تشييد القصور والبنايات وفق طريقة هندسية جد رائعة، حتى بدت مراكش زاخرة بمظاهر حياة الترف[3].

2-الكتّاب والوزراء:

يعتبر ابن خلدون خطة الكتابة "إحدى الصنائع التي تؤدي إلى مخالطة الملوك في خلواتهم ومجالس أنسهم، فلها بذلك شرف ليس لغيرها"، وتبرز أهمية الكاتب في المرحلة التي شب فيها عود الدولة ويشرع الأمراء في تنفيذ الأحكام، وتحصيل ثمرات

[1]- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ العرب في العصور الوسطى)، ط2، دار الكتاب الحديث، 1996، ص422.

[2]- المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، 1986، ص72.

[3]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج7، دار صادر، بيروت، ص471.

الملك من الجباية والضبط. فالكاتب في هذه المرحلة هو المعين لهم، وعليه يكون أصحاب الأقلام أوسع جاها وأعلى رتبة وأقرب من السلطات مجلسا[1].

ولأن الدولة المرابطية بحاجة إلى كتّاب تمثلت أساسا في توجيه الأوامر للرعية، وبعث الرسائل للملوك، والسهر على قوام المستحقين للخراج والجزية، ونظرا لأهميتهم تم استقدامهم إلى بلاط مراكش بأعداد هائلة، بالإضافة إلى أنهم عاشوا حياة البذخ والترف وتكدست لديهم الأموال بفضل الهبات والهدايا التي منحها لهم المرابطون[2] وهناك من الكتّاب من كانوا يعيشون في خمول إلى أن اتجهت إليهم أنظار الأمراء، وفي مقدمتهم "ذي الوزارتين" ابن القصيرة الذي استدعاه يوسف بن تاشفين وولاه كتبه ودواوينه[3]، وأطلق عليه هذا الاسم أي لأنه جمع بين الكتابة والوزارة معا.

3-قادة الجيش:

احتل قادة الجيش مكانة مرموقة في المجتمع، بحيث اهتم يوسف بن تاشفين بهذه الطبقة اهتماما خاصا وقام بتنظيمه وذلك بهدف تحقيق مشاريعه[4].

---

[1]- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ط1، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص271.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس (خلال عصر المرابطين)، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995م، ص142.

[3]- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج2، دار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص408.

[4]- حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص325.

وذكر ابن خلدون أن حاجة الأمراء إلى صاحب السيف تشتد في بداية الدولة وأخرها في قوله : " فيكون أرباب السيف حينئذ أوسع جاها وأسن إقطاعا"[1] وخير دليل على المكانة الاجتماعية التي احتلها قادة الجيش ماورد في وصف أحد قادة العسكر بأنه " يد الدولة العزيزة ".

ومن مظاهر ترفهم إقامتهم للقصور، كما أنهم لم يختلطوا بعامة الناس وهذا ما يؤكده ياقوت الحموي في حديثه عن تلمسان إذ يقول "وهما مدينتان إحداهما قديمة والحديثة اختصها الملثمون ملوك المغرب واسمها تاقرارت فيها يسكن الجند ، وأصحاب السلطات، وأصناف من الناس، والقديمة أغادير يسكنها الرعية "[2].

ومن علامات اتساع نفوذهم الاجتماعي كذلك أن الأمير المرابطي جعل لهم قاضيا خاصا بهم يسمّى قاضي العسكر.

4-الفقـهاء:

احتل الفقهاء في العصر المرابطي مكانة ضمن الطبقة الحاكمة لاسيما أن دولة المرابطين قامت على أساس ديني ودعوة إصلاحية، جعلت للفكر الديني وأهله مكانة مميزة، ويتضح ذلك جليا منذ قيام دولتهم بعد تحالف فقهاء المالكية مع الأمراء المرابطين، فاعتبروا بمثابة المنظرين الأساسين لتوجهات الدولة.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 507.

[2]- الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1979م، ص44.

والراجح أن مكانة الفقهاء لدى الأمراء المرابطين وثرائهم مكنهم من لعب أدوار سياسية، وتجلى دورهم خاصة في استيلاء المرابطين على الأندلس عندما شرحوا أحوال الأندلس لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين[1].

ولعل ما يبرز مكانتهم الاجتماعية التي احتلوها في المجتمع تلك الأوصاف التي وصفتهم بها المصادر حيث نعت بعضهم "بالرتبة الرفيعة"[2]، والبعض الآخر"سمو الرياسة "[3]، حيث نال الفقهاء قسطا من مدح الشعراء طمعا في عطاياهم وكرمهم.

وعلى نقيض المدح والثناء نال فقهاء الفترة المرابطية نقدا لاذعا وهجاءا عنيفا، أين صورهم بعض الشعراء بأنهم استغلوا نفوذهم في تسخير المذهب المالكي لنيل المال والمناصب[4] كما أن هذه الطبقة لم تسلم من ألسنة العامة التي تدل على كراهيتهم لهم باستغلال النفوذ والنفاق، ومنها ما يصور قلة ورعهم وقولهم مالا يعملون به كقولهم: "خاف الله واتقيه ، ولا تعامل الفقيه "[5].

---

[1]– ابن خلكان، المصدر السابق، ص ص280–281.

[2]– ابن خاقان، قلائد العقيان، ط1، مطبعة دار القلم، 190، ص34.

[3]– ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة الفحامية، مصر، ص303.

[4]– عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة العلمي، القاهرة، 1989، ص121.

[5]– محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، ج1، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2006، ص282.

كما لم يكن فقهاء العصر المرابطي بمعزل عن نقد بعض الفقهاء كالغزالي الذي بين أن الفقهاء لم يهتموا سوى بمعرفة الفروع، وحرصوا على الاستقلال بالفتوى من أجل تولي الأوقاف والوصايا، وحيازة مال الأيتام وتقلد مناصب القضاء والحكم[1].

ومن خلال دراستنا للفئات الاجتماعية المكونة للطبقة الحاكمة نستنتج أن القاسم المشترك فيما بينها هو الثروة والجاه.

المطلب الثاني: الطبقة المتوسطة.

تنوعت الطبقة الوسطى بين شرائح اجتماعية مختلفة كالقضاة والتجار وأصحاب الحرف والمهن الحرة مثل: المهندسين والأطباء.

1-القضـــاة:

كان القضاة موجودين في كل عصر جانب الفقهاء، واحتلوا مكانة رفيعة في المجتمع وأشركوهم في مجلس الشورى، واتخذوا بعضهم وزراء.فكان يوسف بن تاشفين وولده علي لا يجلسان إلا والقضاة يحفون بهم ويسيرون في ركابهم[2] وقد علا شأن وقدر القضاة حين أعطاهم يوسف بن تاشفين سلطة مطلقة، وأصبح حكم القاضي نافذ لا يرد[3]، وهذا ماجعلهم يحتلون مكانة اجتماعية مميزة بالمغرب، قصدهم الشعراء

[1]- الغزالي، كتاب إحياء علوم الدين، ج1، دار الفكر، 1980، ص ص36-37.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص362.

[3]- ابن بسام، المصدر السابق، ص106.

مادحين لهم ولقد تكدست في أيديهم الأموال ، وأخذوا يعيشون عيشة البذخ والترف[1]، وذلك بفضل ما تمتعوا به من الامتيازات التي منحت لهم.

2-التجـار:

تعدد أصناف التجار في المغرب إبان العصر المرابطي باختلاف مقادير الأموال والوضع الاجتماعي لأصحابها، فقد صنفهم أحد المؤرخين إلى ثلاثة أصناف حسب القدرة على الاستثمار .

فالصنف الأول :هم الذين يستثمرون أقل من مئة دينار في تجارتهم وهؤلاء عادة ما يتولون العمل بأنفسهم سواء تجار متنقلين أو مقيمين، ونظرا لضعف استثماراتهم عجزوا في آخر الدولة حتى من دفع إيجار حوانيتهم[2].

أما الصنف الثاني :

فيطلق عليهم اسم تجار القوافل أو ما يعرف بتجار الصحراء المولعون بدخول بلاد السودان الذين وصفهم ابن خلدون بأنهم "أرفه الناس وأكثرهم أموالا". ويرجع سبب ثروتهم إلى ندرة سلع السودان في المغرب وهذا يدفعهم إلى زيادة ثمنها وبيعها بأسعار مرتفعة.

---

[1]- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ-1056م/ 668هـ -1259م)، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004، ص162.

[2]- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشروق، 1983، ص ص278-279.

وأما الصنف الثالث:

هم تجار الجملة الذين اقتصرت رحلاتهم على المدن المغربية والأندلسية فقط وكما يسميهم ابن خلدون " المترددون في الأفق الواحد ما بين أمصاره وبلدانه"[1]، ومن هؤلاء التجار من يشرف على تجارته بنفسه، ومنهم من يضطر لاستعمال الوكلاء أو الشركاء ليتفرغ إلى عمله، لأن البعض منهم كان من الفقهاء أو أصحاب الخطط الرسمية أو ملاك الأراضي[2].

وعلى العموم فقد حقق التجار أرباحا طائلة لا يستهان بها، خاصة وأن الدولة المرابطية في بدايتها قد ألغت كل المكوس، وسائر الضرائب المفروضة على التجار كما وفرت لهم الأمن والحماية اللازمة أثناء تنقلاتهم.

وفي أواخر الدولة المرابطية أثقلت كاهلهم بمختلف أنواع الضرائب، وهذا ماأثّر سلبا على التّجار، بالإضافة إلى حوادث قطع الطرق على التجار وانعدام الأمن[3] ليشمل كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة اللواتي يشملن على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل[4].

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 422–423.

[2]– إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص161.

[3]– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ج4، ط2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1980م، ص91.

[4]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص126.

3-أصحاب المهن الحرة:

يدخل ضمن هذه الفئة من أصحاب المهن الحرة المهندسين، خاصة وأن الأمراء المرابطين كانوا بحاجة إليهم لأنهم يحبون حياة الترف والتأنق في العمران وبناء القصور والجنان[1]، وحرصهم الشديد على تزويد المدن بالمياه والإكثار من الحدائق والمساحات الخضراء، وعليه فقط حظيت هذه الفئة برعاية كاملة من طرفهم[2].

كما تعد شريحة الأطباء الغير مرتبطين بالبلاط المرابطي من ضمن الطبقة المتوسطة، انتشروا في بعض المدن المغربية متخذين أماكن خاصة بهم لممارسة مهنتهم، بالإضافة أن هذه المهنة لم تقتصر على المسلمين فقط بل مارسها بعض اليهود.

و بالرغم من أن مصادر الفترة قد ذكرت لنا أسماء العديد من الأطباء إلا أنها لم تذكر لنا شيئا عن وضعيتهم الاجتماعية، والراجح أن هؤلاء "كانوا يعيشون حياة متوسطة ، ورغم ذلك نالوا احترام المجتمع إذ أطلقوا عليهم لقب الحكماء"[3].

المطلب الثالث: الطبقة العامة.

يرجع سبب تسمية العامة بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم الإحاطة بهم، لذلك اختلفوا عن الطبقة الحاكمة، فهم السواد الأعظم من الرعية الذين لايملكون السلطة، ويعيشون

---

[1]- الإدريسي، صفة المغرب وأرض سودان ومصر والأندلس، المطبعة الشرقية، ليدن، 1960م، ص ص77-78.

[2]- نفسه، ص ص67-68.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص164.

في عالم له أبعاده الفكرية والدينية[1]، وقد نعتت هذه الطبقة بعدة أسماء منها: "الغوغاء"[2] وكذلك سموهم "بالدهماء"[3].

ورغم هذه النعوت والصفات التي وصفت بها، إلا أن هذا لا ينقص من دورها في المجتمع فقد مارست عدة أعمال وحرف كالتجارة والفلاحة والصناعة، بالإضافة إلى أنهم استخدموا للأعمال الشاقة وأبرز مثال على ذلك بناء مدينة مراكش وذلك بفضل هذه الطبقة كالبنائين، وكذلك تضافر طاقتهم العضلية وكدهم في العمل، ومن بين الشرائح الاجتماعية لهذه الطبقة نذكر:

1-الفـــلاحون:

يعد الفلاحون أهم شريحة من شرائح العامة، باعتبار الفلاحة أهم مصدر لكسب العيش بحيث إعتبرها ابن خلدون ضمن معاش المستضعفين وأقدمها بسيطة و طبيعة فطرية لا تحتاج لنظر و لا علم[4].

---

[1]- جمال طه، المرجع السابق، ص106.

[2]- ويقصد بها الدبا وهي صغار الجراد. أنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: محمد عبد القادر شاهين، ج2، المكتبة المصرية، بيروت، 2004، ص157.

[3]- وتعني العدد الكثير. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، م12، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص246.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص408.

ولقد أمدتنا المصادر بمعلومات توضح مدى ارتباط المغاربة بالأرض وممارستهم للنشاط الفلاحي، سواء من كان مقيما في المدن أو في البوادي، فمثلا العاصمة مراكش التي كان بها بستان واحد أصبحت تعج بالبساتين بسبب وفرة المياه[1].

ولم تقتصر فلاحة المغاربة على الأراضي المنبسطة والسهول فقط، بل استغل الفلاحون حتى المناطق الجبلية "كجبل درن"[2] الذي يمتاز بخصوبته و كثرة مياهه، وذكرت لنا مصادر الفترة أن ملاك الأراضي معظمهم فضلوا العيش في المدن و تركوا أراضيهم لوكلاء ينبون عنهم في البوادي[3]، وهؤلاء عملوا على تأجيرها لمزارعين صغار مقابل حصة من الإنتاج، وبتلك الطريقة يكون المزارع حرا لاتربطه أية علاقة بصاحب الأرض[4].

2-الصناع أو الحرفيين:

تعد شريحة الصناع والحرفيين أهم شريحة من شرائح الطبقة العامة التي لا يمكن الاستغناء عنها لدورها الكبير، فمع اتساع العمران في عصر المرابطين وازدهار المدن اكتظت بعدد كبير من الصناع للنهوض بمتطلبات ذلك المجتمع، فقام هذا الازدهار

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص67-68.

[2]- يقع بالمغرب، وهو جبل عظيم يعترض الصحراء. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص243.

[3]- الونشريسي، المعيار المغرب والجامع في فتاوى الإفريقية والأندلس والمغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص316.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث المغرب الإسلامي وتاريخيه الاجتماعي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2002، ص ص77-78.

في جزء منه على اكتفاء الصناع،[1] وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في قوله : "إن الصنائع دائما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته ".

فقد تنوعت الصناعات والحرف المغربية في عصر المرابطين بين الصناعات الحربية كصناعة الرماح، وبين الصناعات الجلدية كصناعة السروج، والصناعات النسيجية كالثياب الرفيعة التي لا يقدر أحد على صنعها عدا نساء السوس اللواتي اشتهرن بحدق صناعتهن اليدوية[2].

أما في قطاع البناء فإنه عرف حركية كبيرة في العهد المرابطي منذ الوهلة الأولى لقيام الدولة وتأسيس عصمتها التي استقطبت الكثير من البنائين والحرفيين من مختلف مناطق المغرب، وعلى الخصوص من يهود سجلماسة الذين احترفوا هذه المهنة[3].

وعلى الرغم من الخدمات التي قدمتها هذه الشريحة سواء للدولة أو المجتمع، إلا أنها لم تحظى بحماية خاصة في أواخر الدولة، أين أثقلت كاهلهم بالضرائب، فقد أثرت عليهم بحيث لم يعد بمقدور البعض منهم حتى دفع كراء الحوانيت، وعليه اتخذوا منازلهم مكانا لممارسة نشاطهم. ونظرا لما آل إليه الأمر فقد أصبحت أجورهم غير كافية حتى لسد مستلزماتهم اليومية، فاضطروا إلى التدليس والغش والتماطل فيما وعدوا بإنجازه[4].

---

[1]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص 175.

[2]- الإدريسي، المصدر السابق، ص59- ص62.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص ص 148-149.

[4]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث ، المرجع السابق، ص173

3-صغار التجار والباعة المتنقلون:

تمثل هذه الطبقة شريحة كبيرة من الطبقة العامة على أساس أن التجارة هي:

"محاولة الكسب بتنمية المال، بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أينما كانت السلعة"[1]، وتضمن لهم الابتعاد عن الفقر، فقد استقر معظم الباعة في حوانيتهم كبائعي اللحوم، وبائعي الأطباق والقدور فضلا عن العطارين والعشابين، ومنهم من اختص ببيع الأطعمة وقد خص لباعتها سوق يعرف باسم سوق الدخانين، بالإضافة إلى أسماء أسواق أخرى كسوق الرحاب يباع فيها القمح والشعير والذرة، وسوق يعرف باسم المدى وكان مخصصا لتجارة الدقيق[2].

وعاشت هذه الشريحة حياة كريمة في أغلب الأوقات، واستطاعوا أن يكونوا وضعا اجتماعيا داخل المجتمع المغربي إبان فترة المرابطين.

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص420.

[2]- جمال طه، المرجع السابق، ص110.

الفصل الثاني: المكونات البشرية لعناصر المجتمع المرابطي.

المبحث الأول: المجموعات البشرية من غير أهل الذمة.

المطلب الأول: البربر.

المطلب الثاني: العرب.

المطلب الثالث: الأقليات الأخرى.

المبحث الثاني: المجموعات البشرية من أهل الذمة.

المطلب الأول: اليهود.

المطلب الثاني: النصارى.

الفصل الثاني: المكونات البشرية للمجتمع المرابطين.

إن أهم العناصر التي شكلت خريطة سكان المغرب في الحقبة المرابطية، تجلت في العنصر المرابطي الذي مثل السواد الأعظم من حواضر المغرب الأقصى وباديه على الخصوص، ثم يأتي بعده العنصر العربي الذي لم يشكل سوى أقلية من المجتمع واتخذ من المدن مستقرا له،على غرار العنصر السوداني والروم وأهل الذمة من اليهود والنصارى.

ونستنتج أن أبرز خاصية ميزت المجتمع المرابطي كونه مجتمعا مكونا من عناصر بشرية مختلفة عرقيا ودينيا ولغويا، ومن هذا سنحاول تحديد أهم العناصر البشرية المكونة للمجتمع المرابطي .

المبحث الأول: المجموعات البشرية المسلمة.

المطلب الأول: الـــبربر.

كان سكان المغرب يعرفون منذ أقدم العصور بالبربر، وهو لفظ إغريقي كان اليونان يطلقونه على كل من لا يتكلم الإغريقية، فقد كانوا يسمونهم بارباروي أي البربر، وعنهم أخذ اللاتنيين ثم العرب هذه التسمية. أما البربر فلا يطلقون على أنفسهم هذه التسمية بل يعرفون أنفسهم بأسماء شعوبهم وقبائلهم[1]

[1]– حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد، مكتبة الأسرة، 1992م، ص28.

وباعتبار البربر الغالبية العظمى من السكان ومنهم تأسست أكبر دولة شهدها المغرب الأقصى ألا وهي دولة المرابطين، فقد وقع اختلاف بين المؤرخين والنسابة حول أصلهم ونسبهم فابن حزم الأندلسي يذكر بقوله : " قال قوم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام ، وادّعت طوائف نسبهم إلى حمير، وبعضهم إلى بن قيس بن عيلان"[1].

ومهما كان الاختلاف بين المؤرخين والنّسابة حول أصل ونسب البربر إلا أنه وقع إجماع بينهم على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين: البتر والبرانس. وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: " وأما شعوب هذا الجيل وبطونهم، فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه برنس البرانس وهما معا ابن برنس"[2].

فأما البربر البتر: فهم بدو رحل، كانوا يعمرون الصحاري والواحات ويعتمدون على الرعي، يمتازون بروحهم القتالية العالية وامتداد قبائلهم عبر مناطق كبيرة في المغرب الأقصى[3]، كما ينتشرون في أقاليم النخيل الممتدة من غدامس إلى السوس الأقصى، ومن أهم القبائل المشكلة لهذه الطائفة نذكر: زناتة، نفوسة، مغيلة، مطغرة ، لواته ، مديونة ، وزواوة...إلخ[4].

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: محمد هارون، ط5، دار المعارف، مصر، ص495.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص104-105.

[3]- نفسه، ص142.

[4]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص33.

وأما البربر البرانس: " فهم يسكنون النواحي الخصبة الشمالية والسفوح المزروعة[1] وهذا الفرع من البربر هو أصل البربر وهم الأقوام الذين سكنوا هذه البلاد منذ أقدم العصور، وأما ملامحهم فهم يشبهون سكان الأندلس وتنتشر بينهم شقرة الشعور وبياض اللون وزرقة العيون خاصة بين أهالي الجبال[2] ، وأهم قبائل البرانس: صنهاجة، كتامة، لمطة، أوربة، كزولة، عجيسة، هسكورة، أوريغة، وقد وصفهم ابن خلدون "بأنهم أوفر القبائل عددا"[3].

ونستخلص أن كلا من الطائفتين (البتر والبرانس)عاشا على أرض المغرب الأقصى متأثرين بالأحداث التي مرت بها المنطقة ومؤثرين فيها، وساهموا في توجيه الأحداث خلال العصر المرابطي وعلى هذا الأساس سوف نتعرف على أهم القبائل المشكلة للمجتمع البربري.

[1]– حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، ص6.

[2]– حسين مؤنس، معالم، المرجع السابق، ص 29.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص139.

1-القبائل الصنهاجية:

أ-صنهاجة:

تعتبر صنهاجة من أهم سكان المغرب الأقصى في العهد المرابطي، فإلى جانب كثرة عددها لعبت الدور الحاسم في قيام دولة المرابطين وهذا مايثبته ابن خلدون بقوله: "هذا القبيل من أوفر قبائل البربر وهي أكثر أهل المغرب بهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلوا من بطن من بطونهم"[1].

أما عن أصل الصنهاجيين فقد اختلف المؤرخون حوله ، فأغلب الروايات تنسبهم إلى قبيلة حمير اليمنية وهذا ما ذهب إليه أبن عذارى عما نقله عن الهمذاني في قوله: " أن صنهاجة من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير"[2].

ولعل ما يؤكد ذلك أيضا أن المرابطين يفخرون بنسبهم الحميري حيث كانوا يمدحون به وعلى سبيل المثال قول الكاتب أبي محمد بن حامد :

* قـوم لهـم شـرف العــلا من حمير

وإذا انتـموا صنهـاجـة فهـم هــم * .

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص179.

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص46.

وأما ابن خلدون فقد نسبهم إلى البربر بقوله: " هذا القبيل من أوفر قبائل البربر"[1].

وسواء كان أصل صنهاجة حميريا أو بربريا ، فهي في الأخير ترجع إلى أصل عربي إذا سلّمنا بصحة الأصل العربي للبربر، ومن ثم يمكن أن نقول أن الصنهاجيين ليسوا من سكان البلاد الأصليين، وإنما هم عرب قدموا من شبه الجزيرة العربية واستقروا في المغرب وتناسلوا مع أهله حتى تبربروا[2]، وهذا ما أكده صاحب الحلل الموشية بقوله: "إنما تبربرت ألسنتهم لمجاورتهم البربر ومكوثهم معهم ولمصاهرتهم إياهم"[3].

ويقسم ابن خلدون صنهاجة إلى ثلاث طبقات أولها صنهاجة إفريقية والمغرب الأوسط التي أفرزت نظامين سياسيين هما دولة بني زيري وبني حماد، أما الطبقة الثانية وهي صنهاجة الجنوب التي شكلت نواة الدولة المرابطية وهم أهل "وبر"، بينما تتجلى الطبقة الثالثة في صنهاجة الريف ، وهم أهل " مدر"[4]

والميزة الأساسية التي ميزت الصنهاجيين هي تنقلهم الدائم وعدم استقرارهم لاعتمادهم على نمط الرعي والانتجاع، فهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا وإنما أموالهم الأنعام ، وعيشهم اللحم واللبن "[5]. وهذا ما اضطرهم إلى التنقل والترحال طلبا

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص179.

[2]– جمال طه، المرجع السابق، ص40.

[3]– مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص46.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص180.

[5]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص120. أنظر أيضا: نبيلة حسن محمد، تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص88.

للكلأ، والعيش الميسور خاصة في أوقات الصيف والعودة إلى ديارهم في الشتاء[1] وحتى بعض الصنهاجيين الذين كانوا شبه مستقرين في المدن لم يكن استقرارهم يكتسي صبغة الديمومة، فقد وصفوا بأنهم رحالة لا يستقر بهم مكان[2].

أما صنهاجيوا الشمال فعاشوا حياة شبه مستقرة، وتعاطوا الأعمال الزراعية ولكنهم لم يمثلوا سوى نسبة ضئيلة، ولذلك ظل الترحال والتنقل أهم خاصية من خواص القبائل الصنهاجية[3].

وسوف نتطرق لبعض هذه القبائل التي شكلت أهم عناصر السكان، وساهمت في أحداث الطبقة المرابطية، باعتبار هذه القبائل شعبا عظيما يتألف من قبائل قيل أنها بلغت السبعين، وانتشرت فوق صفحة المغرب انتشارا بعيد المدى.

ب- مسوفـــة:

تعد هذه القبيلة من بين هذه القبائل المشهورة، فقد كانت تتحكم في مراكز العبور الأساسية لذهب السودان[4]، وذلك بفضل موقعها والتي كانت تتخذ من المنطقة الصحراوية الممتدة بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب منتجعا لها، وأسفر انضمامها إلى الحركة المرابطية أن احتلت مكانة ممتازة ضمن المجتمع، وهو

---

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص38.

[2]- الحميري، المصدر السابق، ص305.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص164.

[4]- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2005، ص271.

ماجعل أبناءها يحتلون بعض مراكز القيادة في دولة المرابطين[1]، بالإضافة إلى امتهانها مهنة الرعي واعتمادهم في معيشتهم على لحوم الأغنام وألبانها.

جـ - لمتـــونة:

تعتبر من أهم القبائل وأقواها نظرا لدور الواسطة التجارية الذي اضطلعت به، فضلا عن قوة رجالها وشدة شكيمتهم، وهذا مادفع عبد الله بن ياسين إلى الاستناد عليها فكان ذلك عاملا من عوامل نجاح دعوته[2].

وتمتد لمتونة من منطقة تلي لمطة وجزولة، وتمتد من واد نول على المحيط الأطلسي حتى رأس بوجادور الحالية وإلى الشرق من وادي نول تقع مدينة أزكي على مسيرة سبعة أيام من وادي نول وهذا لقول حسن أحمد محمود في تحديد لمكان استقرار هذه القبيلة[3].

وأما عن معيشة أهل قبيلة لمتونة فقد كانوا يمتهنون مهنة الرعي و يعتمدون في عيشهم على لحومها وألبانها،وهذا ما نستشفه في قول صاحب الاستبصار: "ومن هذا الجبل يدخل إلى لمتونة، وهم من صنهاجة وأكثر لمتونة إنما هم رحالة ، ولا يستقرّ بهم

---

[1]- محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون تاريخهم السياسي، ط1، القاهرة، 1969، ص30.

[2]- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص297.

[3]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص45.

موضع ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز، وإنما لهم الأغنام الكثيرة فيعشون من لبنها ولحمها[1]".

د- لمطـــة:

امتدت مضاربها من جبال درن حتى وادي نول القريب من المحيط الأطلسي[2] وتذكر المصادر الجغرافية أن مدينة "نول" سميت باسم هذه القبيلة أي لمطة، ومما يؤكد ذلك "وإنما سميت نول لمطة لأن قبيل لمطة يسكنونها"[3]، بالإضافة إلى أن أهلها رحل ظواعن، كما اشتهرت لمطة بصناعة الدرق اللمطية .

هـ - جدالـة :

تعتبر من بين هذه القبائل لكون أهلها بدو رحل يقيمون في الصحراء ويعتمدون على مهنة الرعي[4]، وامتدت مضاربها حتى مصب نهر السنغال متخذة من مدينة أوليل مركزا لها، وهي مدينة يكثر فيها الملح الذي تحمله القوافل إلى مناطق السودان[5] وقامت جدالة بدور هام خلال المراحل الأولى من تأسيس دولة المرابطين ، بحيث

---

[1]- مجهول، الاستبصار في عجائب الأبصار "وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب"، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص213.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص44. أنظر أيضا: ابن حوقل، المصدر السابق، ص101.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص584.

[4]- مجهول، الحلل، المصدر السابق، ص17.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص46.

حظي أفرادها بالمناصب العليا، ولعبوا أدوارا اجتماعية وسياسية هامة، كما تحملوا عبئا كبيرا في الجهاد الذي خاضه المرابطون[1].

ونستنتج أن هذه القبائل أهم العناصر التي مهدت لنشأة دولة المرابطين، وساهمت في تسييرها وإدارتها .

2-القبـائل الـــزناتية :

أ- زنـاتة:

هي آخر قبيلة جاءت ديار المغرب واستقرت بسهول المغرب منذ القرن2 و3هـ[2] وهم فرع من البتر، ومن أشهر قبائلهم بنو مغراوة وهم أوسع بطون زناتة ، وبنو يفرن الذين اعتبروا أكثر القبائل البربرية قابلية للتعريب لاحتكاكهم الدائم بالعرب[3]، بالإضافة إلى قبائل أخرى كمديونة ، مطغرة ، لواته ، مكناسة...إلخ.

فقد لاحظ "ابن خلدون" التشابه الموجود بينهم وبين العرب فقال: "هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد معروف العين والأثر، وهم لهذا أخذوا من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الإبل وركوب الخيل والتغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين"[4].

ويذكر الجغرافي "الإدريسي" أن أصول زناتة تعود إلى أصول عربية، وإنما تبربروا فقط لمجاورتهم للبربر لقوله: "وزناتة في أول نسبهم عرب صرح وإنما تبربروا بالمجاورة

---

[1]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص377.

[2]- عثمان العكاك، البربر، ج2، جبل المنار، 1375هـ، ص67.

[3]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار سلم، الدار البيضاء، المغرب، 1965م، ص33.

[4]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص2.

والمحالفة للبربر من المصاميد"[1]، وهذا القول يؤكد ما ذهب إليه ابن خلدون أن هناك تشابه بين زناتة والعرب.

إن الخاصية الأساسية التي ميزت الزناتيين، تجلت في اعتمادهم الدائم على التنقل والترحال، وعرفوا بقلة عددهم نسبة للعناصر البربرية الأخرى، وكان استقرارهم في المنطقة الممتدة من تاهرت إلى فاس، ثم شرعوا في التسلل صوب الساحل عبر ممر تازا وشكلوا في كل من "سلا" و"تدلا" و"أغمات" و"فاس" مواطن لهم[2]. وذلك بعد هجرتهم من المغرب الأوسط بسبب ضغط الفاطميين عليهم لتحالفهم مع الأمويين[3].

والواضح أن القبائل الزناتية ظهرت كأنهم مجموعة سكنية من حيث الدور السياسي لا من حيث الطاقة البشرية وذلك في النصف الأول من القرن 5هـ /11م، وهذا ما جعل بعض الباحثين يصفون هذه المرحلة بعهد السيادة الزناتية[4].

إذن هذه لمحة عن العناصر البربرية التي اعتمدت على الرعي والترحال، أما الآن سنحاول التطرق إلى العناصر البربرية التي عاشت حياة الاستقرار.

---

[1]– الإدريسي، المصدر السابق، ص88.

[2]–إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث ، المرجع السابق، ص25.

[3]– ابن حيان الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006 م، ص22.

[4]–إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص25.

3- القبـائل البربريـة المستـقرة:

تمثل هذه القبائل أساسا في القبائل المصمودية التي أقامت في المناطق الجبلية أو السهلية، وكذلك بربر الأندلس على اختلاف قبائلهم .

أ-المـصامـدة :

مصمودة هي أقدم قبيلة بربرية مستقرة بالمغرب، تشغل الأطلس الكبير والسوس المضاد، وهي تؤلف أغلبية السكان ليس فقط بهذه الجهات الجبلية بل أيضا السهول الغربية[1] ويذهب المراكشي في تحديد مواطنهم بقوله: " فحد بلاد النهر الأعظم الذي يصب في جبال صنهاجة وينتهي إلى البحر الأعظم بحر أقيانس، يدعى هذا النهر أم الربيع وآخر بلادهم الصحراء التي تسكنها لمتونة ومسوفة ...إلخ، فهذا حد بلاد المصامدة عرضا وحدها طولا الجبل المعروف بدرن(جبل الأطلس) إلى البحر الأعظم المسمى أقيانس"[2].

والمصامدة هم فرع من فروع البرانس، يعود نسبهم إلى مصمود بن مادغيس، يمتازون بكثرة أعدادهم بالنسبة لمجموع السكان[3]، وقسمهم ابن خلدون إلى ثلاث مجموعات أهمها:

---

[1]- عثمان العكاك، المرجع السابق، ص66.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص339.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص245.

الأولى: هم مصامدة الجبال ويقصد بها سكان جبل درن ويمثلون أكبر نسبة لهذه المجموعة، فمصامدة جبل درن كانوا يمثلون تجمعا بشريا كبيرا حتى نسب الجبل إليهم[1] وهذا ما يشير إليه الحميري في قوله: " وفي الجبل من المصامدة أمم لا تحصى"[2]، فقد تكيفوا مع الطبيعة الجبلية القاسية، حيث لم تحل التضاريس الجبلية دون استقرارهم في المناطق ذات الارتفاعات الشاهقة، نظرا لما يزخر به من خيرات هذا مادفعهم للدفاع عن موطنهم ضد أي خطر أجنبي، حتى أن المرابطين وجدوا صعوبة في إخضاع المصامدة ولم يتوغلوا في جبل درن إلا بعد أن أدركوا ضعفهم وعرفوا الصراعات التي كانت تحدث بينهم[3].

وتأتي في المجموعة الثانية مصامدة الريف كشريحة هامة من سكان الجزء الشمالي خلال العصر المرابطي، وقد أطلق عليهم اسم غمارة نسبة إلى جدهم غمار بن مصمود[4]، وامتدت بطونهم من الجهة الغربية إلى ضواحي قصر صنهاجة و مدينة البصرة[5].

وأما المجموعة الثالثة من المصامدة فهم مصامدة السهول (تامسنا) ويمثلون أقلية بالنسبة لمصامدة الجبال، ومجال امتدادهم في حاحا إلى وادي العبيد بما في ذلك دكالة

---

[1]– نفسه، ص266.

[2]– الحميري، المصدر السابق، ص235.

[3]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص85.

[4]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص221.

[5]– جمال طه، المرجع السابق، ص50.

والجهة المواجهة لجنوب الأطلس وتشمل أربعة أقاليم وهي: سوس، حاحا، جزولة، وناحية مراكش[1].

فالمصامدة عكس قبائل صنهاجة البدوية، كانوا ولوعين بالبناء والتشييد بالأحجار والطوب، واعتمدوا على الزراعة كمصدر أساسي للعيش[2].

ب- هرغـــــة:

هي قبيلة كبيرة في جبل درن ويرجع "ابن خلكان" نسبها إلى الحسين بن علي بن طالب[3]، أما عن اسمها البربري فيذكر بن منصور في كتابه قبائل المغرب أن اسمها هو"أرغن"[4]، وهذه القبيلة قليلة العدد من حيث السكان مقارنة بغيرها من القبائل وهي التي أنجبت الزعيم الروحي للدولة الموحدية وهو المهدي بن تومرت .

وبالإضافة إلى قبيلة هرغة هناك قبائل مصمودية أخرى كقبيلة هنتانة التي اشتق اسمها من اسم جدها هنتان المدعو "ينتي" بلسان المصامدة وهي قبيلة كثيرة العدد وأعظم قبائل المصامدة وأشدها قوة، وكانت تشمل على تسعة بطون[5].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، المرجع السابق، ص34.

[2]- جمال طه، المرجع السابق، ص50.

[3]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص305.

[4]- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، الطبعة الملكية الرباط، 1968، ص226.

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 268 ص318.

وكذلك قبيلة تنملل أو مايعرف باسم "أهل تنملل" وتنسب للموضع الذي استقرت فيه، كما اشتملت على إحدى عشر بطنا[1] وظهرت أهمية هذه القبيلة بعد إيوائها ابن تومرت واتخاذه مسكنه ومسجده فيها، ومن ثم اكتسبته منزلة بين قبائل المصامدة[2].

د- **بربر الأندلس:**

ومادمنا بصدد الحديث عن العناصر البربرية المستقرة يجدر بنا دمج بربر الأندلس ضمن هذه المجموعة، نظرا لطابع الاستقرار الذي يميزه، والمعروف أن استقرار البربر بالأندلس جاء نتيجة امتزاج تاريخي من أربع مجموعات:

الأولى: تعود إلى أيام الفتوح الأولى للأندلس في عهد موسى بن نصير وانصهرت مع باقي الشرائح الاجتماعية الأخرى، وفي هذا الصدد يقول الإدريسي: "والجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الأندلس في صدر الإسلام وافتتحها موسى بن نصير من قبل المروانيين ومعه قبائل البربر"[3].

أما الثانية: فتتمثل في المجموعة التي استقدمها المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش، في حين تتمثل الثالثة في صنهاجة اللثام الذين لبوا دعوة ملوك الطوائف لردع الخطر النصراني، فأنزلوا قلائلهم في المدن والثغور[4].

وأما بالنسبة للمجموعة الرابعة: فتتشكل من بربر العدوة الذين تدفقوا على الأندلس خلال العصر المرابطي في فترتين متباعدتين:

---

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص243.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 360.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 176-177.

[4]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص115.

الهجرة الأولى : كانت في سنة 515هـ/ 1121م، وكانت قبلتهم نحو قرطبة وجاءت هذه الهجرة عقب ثورة العامة التي شاهدتها قرطبة وما انجر عنها من نتائج، ولهذا بادر المرابطون إلى حشد الحشود من صنهاجة، زناتة، المصامدة على نحو لم يجتمع مثله للمرابطين وعبروا بهم إلى الأندلس، وكان الهدف من ذلك هو إعادة الأمور إلى ما كانت عليه من قبل[1].

أما الهجرة الثانية: فكانت سنة 535هـ/1140م وتميزت عن سابقتها لكثرة الأعداد التي انتقلت إلى الأندلس، وهذا ما جعل صاحب البيان يسميها " بالانجلاء العظيم إلى الأندلس"، وهذا بسبب عدة عوامل كانعدام الأمن وغلاء المعيشة وظهور المجاعات في أواخر عهد المرابطين ووصول الموحدين في زحفهم إلى المنطقة الشمالية للمغرب الأقصى[2].

ولكن التزايد المضطرد في استقرار البربر في الأندلس أحدث مشاكل اجتماعية وهذا ما لم يتحمله الأندلسيون، ولهذا وصفوهم بعدة أوصاف منها أنهم" أصحاب نكد وشؤم أو أنهم إذا غضبوا قتلوا أو جرحوا"[3]. والراجح أن الهجرة البربرية من المغرب الأقصى نحو الأندلس كانت موجهة للبوادي عامة والحواضر الكبرى خاصة، مثل قرطبة وغرناطة، وهذا لما جاء في قول ابن الخطيب عن سكان غرناطة "أن فيهم البربر والمهاجرة كثيرا"، بالإضافة إلى أسماء لقبائل بربرية استقرت في أنحاء الأندلس منذ الفتح[4].

---

[1]- ابن الأثير، المصدر السابق، ص188.

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص98-99.

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص71.

[4]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ط1، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص36.

ومما سبق يتضح لنا أن زحف المرابطين نحو الأندلس لصد القوى النصرانية أضاف عناصر أخرى من قبائل البربر التي اتخذت من الأندلس مستقرا لها، وأصبحت إلى جانب العناصر الأولى تشكل قوة اجتماعية لا يستهان بها.

المطلب الثاني: الـــــعرب.

يمثل العرب نسبة قليلة من سكان المغرب الأقصى عكس الأندلس التي ضمت نسبة هامة منهم، بسبب خصوبة وثراء الأراضي الأندلسية، فضلا عن تشابه بيئتها مع البيئة العربية في المشرق، حتى أن كورها سميت بأسماء مشرقية .

1-عرب المغرب الأقصى :

هم العنصر الثاني من سكان المغرب الأقصى وحتى نلم بهذه الفئة إبان العصر المرابطي الأول يجب الرجوع إلى بداية الفتح الإسلامي، لأن صلة العرب بالمغرب الأقصى تعود إلى أيام عقبة وموسى بن نصير حينما أخضعا المنطقة للسلطة المركزية في دمشق، ولأجل نشر الدين الإسلامي تركا مجموعة من العرب لتعليم أهالي المغرب الأقصى قواعد الدين الإسلامي[1]، ومن هنا بدأ مجتمع المغرب الأقصى يتطعم بعناصر

[1]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص42.

جديدة من العرب التي أقامت في أنحاء البلاد وبذلك أصبح المغرب الأقصى موطنا لهم أيضا[1].

واستمر تدفق القبائل العربية إلى أرض المغرب في أواخر خلافة بني أمية بالمشرق، عندما حاول الأمويون قمع ثورات البربر ونشر الإسلام بينهم[2]، بالإضافة إلى وجود عدد من المذهبيين الذين لجئوا إليه وقاموا بنشر أفكارهم ومذاهبهم التي فشلوا بنشرها في المشرق الإسلامي[3].

غير أن توافد العرب بشكل ملحوظ بدأ منذ عهد الأدارسة، إذ توافد على مدينة فاس وفود العرب من بلاد إفريقية والأندلس والقيروان من القيسية والأزد وغيرهم، وذلك خاصة في عهد إدريس بن إدريس بحيث أسكنهم بها وجعلهم بطانته.

ويوضح عبد الواحد المراكشي أن أكثر العرب قصد مدينة فاس وذلك في قوله: "كانت القيروان حاضرة المغرب، اضطرب أمرها بعبث العرب فيها فر منها أهلها ونزل أكثرهم مدينة فاس".

وكما أكد الزهدي ذلك بقوله: "ما انقضت سنتان من تفرق أهل القيروان إلى البلدان حتى كان منهم طائفة بكل بلاد المسلمين واستقرت منهم أمة كبيرة بفاس"[4].

---

[1]– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص307.

[2]– جمال طه، المرجع السابق، ص59.

[3]– محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، 1976، ص28.

[4]– جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص157.

ولم يقتصر توافد العرب نحو مدينة فاس فحسب بل شمل مدن مغربية أخرى كسجلماسة، والتي استقر فيها تجار البصرة وغيرهم واتخذوها مقرا للإشراف المباشر على تجارتهم[1].

ويبدوا أنهم كذلك انتشروا في بعض المدن الشمالية خلال القرن 5هـ، إذ يشير البكري إلى عناصر عربية كانت تقيم في مدينة سبتة[2]، بالإضافة إلى ثورة الربض المشهورة التي أسفرت عن جلاء عدد من عرب الأندلس نحو العاصمة الإدريسية[3].

وبقيام الدولة المرابطية تضافرت عدة عوامل لتجعل المغرب الأقصى مركز استقطاب للعديد من المجموعات العربية، خاصة مع شيوع الأمن والاستقرار في عهد يوسف بن تاشفين، وإدماج الأندلس في حظيرة الدولة المركزية، وانتعاش المجال الحرفي والصناعي والتجاري، كل هذا ساهم بتوافد الأسر العربية الأندلسية على المغرب الأقصى[4]، بعد أن استقدم الأمراء المرابطين عددا منهم للاستعانة بهم في مختلف الخدمات خاصة في الميدان القضائي والإداري لدرجة أن عددا كبير من الوزراء في عهد المرابطين كانوا عرب أندلسيين[5].

---

[1]– ابن حوقل، المصدر السابق، ص65.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص103.

[3]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص77.

[4]– سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص57.

[5]– الجزنائي، زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح: مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م، ص49.

فحين كانت دولة المرابطين تعاني كارثة السقوط وانتشار الفتن، هاجرت عائلات أندلسية نحو المغرب هجرة اضطرارية مثل بيت بني حمدين الذي استوطن مدينة سلا[1]، كما قدم عنصر جديد إلى المغرب وهم عرب بنو هلال الذين انتشروا في الأرياف، حيث أنهم لم يكونوا ضمن الجيش المرابطي بصفة رسمية بل جاءوا جماعات متطوعة، ورغم أن عددهم قليل فلا يمكننا تجاهلهم كشريحة اجتماعية ضمن تركيبة سكان المغرب خاصة ونحن نعلم أن الدولة المرابطية دولة حرب تشجع على قدوم مثل هذه العناصر واستعمالها في مشاريعها الحربية[2].

ولا مراء في أن العصر المرابطي شكل معلمة هامة في امتزاج العرب بالبربر فتبربر العرب وتعرب البربر، وأبرز دليل على ذلك هو اختلاط العرب وصنهاجة التي اندفعت نحو مدن الشمال، وتعتبر منطقة آزمور أبرز مثال عن اختلاط بين العرب وصنهاجة الصحراء[3].

2-عرب الأنـــــدلس :

باعتبارنا نتحدث عن العنصر العربي في عصر المرابطين سوف نتطرق أيضا إلى عرب الأندلس على اعتبار أنه كان يتبع الإدارة المركزية للدولة المرابطية، فلقد ضمت الأندلس نسبة عالية من العرب الذين استقر معظمهم في المدن والبوادي، ومن

[1]- جمال طه، المرجع السابق، ص60.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث ، المرجع السابق، ص ص41-42.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص434.

العناصر العربية التي استوطنت الأندلس نذكر بني هاشم الذين وفدوا إليها من الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر وكذلك سادت العرب ومواليهم، وأهم خاصية ميزت عرب الأندلس في العصر المرابطي تجلت في خفة حدة النعرات العصبية التي ظلت تطبع العلاقات الاجتماعية منذ مطلع الفتح حتى القرن الرابع هجري، وأصبح العرب يتناسون أصولهم المشرقية، ويتخلون عن كل مظاهر حياة البداوة والتأثير القلبي الذي خيم عليهم في شبه الجزيرة العربية[1].

ولقد ذكر ابن حزم في كتابه القبائل العربية التي استقرت في الأندلس وذكر أماكن إقامتها باعتباره عاش قريبا من عصر المرابطين، وأيضا ذكرها ابن غالب في كتابه لكن ثمة إضافات من ذلك على سبيل المثال: بنو حمديس والأصبحيون بقرطبة، وبنو هوزان وبنو زهرة في اشبيلية، وبنو هذيل في تدمير، وكما أضاف إلى غرناطة أسماء عدة قبائل كبني عطية وبني عبد البر وبني غافق بشقورة .

وأول ما يستدعي النظر هو أن أسماء هذه القبائل تتوافق مع أسماء الأدباء والفقهاء الذين ظهروا في الحقبة المرابطية، مما يؤكد أهمية لائحة ابن غالب المعاصر هو أيضا لهذه المرحلة، فمن خلال التمعن في اللائحتين معا يتبين أن أهم التجمعات

[1]- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، عصر الطوائف الثاني، (510هـ -546/ 1116م -1151)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988. ص ص 247-248.

العربية تركزت حول قرطبة، اشبيلية، البيرة، وريه وهي مدن تقع على الخطوط الرئيسية لتجارة العبور[1].

3-المولـــــدون:

يشكل هذا العنصر جزءا كبيرا من سكان الأندلس، ويعني السكان الأصليين المنحدرين من أصل إسباني ممن اعتنقوا الإسلام أو ولدوا من أب مسلم، فنشئوا على الديانة الإسلامية وتعود أصولهم إلى الروم والقشتاليين والأرغوانيين ومنهم من كان من اليهود الذين استقروا في الأندلس قبل فتحها[2].

ويذكر المؤرخون أن بعض المولدين سكنوا البادية واحترفوا مهنة الرعي والزراعة، بينما تولى سكان الجبال غرس الأشجار والفواكه وقطع الخشب، في حين احترفت فئات أخرى صيد الأسماك وصناعة السفن، أما في المدن فقد زاولوا حرفا مختلفة واشتغلوا بالتجارة ، فكانوا بذلك أكثر العناصر نشاطا وأكثرهم تلاؤما مع ظروف الحياة في الأندلس[3].

---

[1]- أنظر الملحق، 1 و2 الخاص بالقبائل العربية في الأندلس وأماكن استقرارها في الملاحق.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص249.

[3]- إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث ، المرجع السابق، ص44.

وبإلقاء نظرة على أسماء المولدين يلاحظ أن بعضهم اتخذ أسماء عربية باحتفاظهم على أسمائهم القديمة وذلك بسبب تعصبهم لأصلهم الإسباني امتثال بنو شرقة **Sabrica** ، بنو نجلين **Angelio**، بنوالجريح **Jarge** ، بنو مردنيس **Martinez** ، وبنو غريسة **Garcia**...إلخ[1].

والأمر الجدير بالذكر أن المولدين قاموا بدور هام على صعيد الحياة العامة وعلى كافة المستويات، إذ كانت لهم أخبار في الثورات على العرب في الحقبة الأموية خاصة، لكن بسبب وضعيتهم الاجتماعية المتدهورة خفّت عصبيتهم وتمكنوا من تأسيس إمارات طائفية في عصر ملوك الطوائف إلا أن الاجتياح المرابطي للأندلس أتى على جّل إماراتهم، ومن ثم انقطعت أخبارهم باستثناء بعض الإمارات الثغرية كإمارة بني هود[2].

المطلب الثالث: الأقلـــيات الأخرى

نقصد بها العناصر التي شكلت نسبة قليلة من مجموع السكان، ووفدت من مناطق بعيدة وتتمثل في الصقالبة والسودانيين.

1-الصقالـبة والــروم:

[1]- سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، القاهرة، 1998، ص34.

[2]- ابن الآبار، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، القاهرة، 1963م، ص225.

المقصود بالصقالبة سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التي تمتد أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأدرياني[1] ويذكر ابن عبد البر ديانتهم فيقول: "وأما الصقالبة فهم فيما ذكروا أمم كثيرة منهم مجوس ومنهم نصارى، ومن مجوسهم من يعبد الشمس"[2].

وأصل كلمة صقلب **Esclave** فرنسية قديمة ومعناها: عبد أو رقيق وأطلقت أولا على أسرى الحروب الذين كان يأسرهم الجرمان والإسكندنافيون ويبيعونهم للأندلسيين، فاتسع بعد ذلك وأصبح يطلق على كل الأرقاء قي جميع الأمم المسيحية سواء عن طريق الاقتناء أو الأسر[3].

وقد أطلق على الصقالبة أسماء عديدة مثل: الفتيان والخرس لأنهم لم يكونوا يعرفون لغة البلاد في بداية أمرهم فكانوا أشبه بالخرس وكذلك نعتوا بالمجابيب[4].

ولم يكن استخدام الصقالبة قاصرا على الخلفاء والأمراء فقط بل استكثر أثرياء الأندلس من الصقالبة، وذلك بقدر زيادة ثرواتهم وجرت العادة على شرائهم صغارا من كلا الجنسين حتى ينشأ على الولاء التام للأمير أو الخليفة وتربيتهم تربية إسلامية فرغم قلتهم لعب الصقالبة أدوارا هامة في المجتمع الأندلسي، إذ تمكن بعضهم من احتلال

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

[2]- ابن عبد البر، القصد والأمم في تعريف بأصول أنسباء العرب والعجم، مطبعة السعادة القاهرة، 1350هـ ، ص35.

[3]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص106.

[4]- المقري التلمساني، المصدر السابق، ص342.

مكانة بين مختلف الشرائح الاجتماعية، فمنهم من وصل قائدا للجيش أو صاحب شرطة، كما استطاع بعضهم الحصول على ثروات هائلة حتى أن بعضهم نجح في تأسيس إمارات إبان عصر الطوائف أهمها إمارة ابن مجاهد العامري[1].

أما في المغرب الأقصى فقد ورد ذكر انتشار للصقالبة في إمارة نكور خاصة أيام سعيد بن صالح، حيث يشير أحد الدارسين إلى أن المرابطين استخدموا الصقالبة حرسا لهم وذلك استنادا إلى قول صاحب الحلل الموشية: "بأن يوسف بن تاشفين اشترى من الأندلس جملة من العلوج فأركبهم، وانتهى عنده منهم مائتان وخمسون فارسا"[2]، وقام باتخاذهم حرسا خاصا له والقصد منه هو فرض هيبته وملكه تحسبا لأي طارئ وهذا ما أشار إليه ابن عذارى في قوله: "واركب الجميع فغلظ حجابه وعظم ملكه"، مما دفع بعلي أبي بكر بن عمر إلى الرضوخ لإرادة يوسف وتسليم زمام السلطة له بعدما رأى كثرة جيشه وعلم أنه مغلوب عليه[3].

وكما استخدمهم علي بن يوسف في الجيش ساعيا من وراء ذلك استغلال تقنياتهم العسكرية، بل تعدى استخدامهم إلى مجالات أخرى كجباية الأموال وهذا ما أشار إليه النويري في قوله: "إن لأمير المسلمين (أي علي بن يوسف) عدة من المماليك الفرنج

[1]– أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص11.

[2]– مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص25.

[3]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص26.

والروم، وإنهم يصعدون إلى هذا الجبل في كل عام يأخذون مالهم فيه من الأموال المقررة من جهة السلطان"[1].

يتضح لنا مما سبق أن الصقالبة أو الروم برغم قلة عددهم فقد لعبوا دورا هاما داخل المجتمع خلال العصر المرابطي، خاصة وأنهم وصلوا إلى مراتب عالية في هرم السلطة الإدارية أو العسكرية وصار بيدهم أهم الوظائف المخزنية، أي أن مصير الدولة نفسها صار ملك أيديهم.

2- السودانيون:

كان العنصر السوداني من العناصر السكانية التي قطنت بلاد المغرب في العهد المرابطي، وتواجدهم في هذه الدولة أمر بديهي بسبب اعتماد هذه الأخيرة على عائدات تجارة الذهب والعبيد وربطت هذه اقتصادها ببلاد السودان.

وأول إشارة لذكر السودانيون في العصر المرابطي يعود إلى أيام الأمير يوسف بن تاشفين بعد أن قام بشراء مجموعة منهم حيث بلغ عددهم ألفين فارس[2]، ولم يقتصر الأمر على هذا العدد فقط بالنظر على العلاقات القائمة بين المرابطين وغانا خاصة بحيث أن المصادر المعاصرة تكشف عن تواجد أعداد كبيرة للعنصر السوداني

[1]- النويري، نهاية الأرب، م11، ج24، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص55.

[2]- ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص23.

من المجندين في حروب الدولة المرابطية، وهذا ما يرجع استمرار تدفق هؤلاء على المغرب سواء عن طريق الأسر أو التجارة[1].

وبما أن السودانيون عرفوا بالقوة والصبر في تحمل أعباء الحرب والغزوات وأن الدولة المرابطية دولة حرب فليس من الصدفة أن تعتمد عليهم في جيوشها، إذ استعمل أربعة ألاف سوداني في معركة الزلاقة[2].

أما عن أماكن تمركز هذه الفئة فالواضح أنهم كانوا منتشرين في سائر أنحاء المغرب الأقصى خاصة في مدينة "سبتة"، التي يتمركز فيها نسبة كبيرة منهم والسبب في ذلك يعود لكونها إحدى مناطق عبور القوات المرابطية إلى الأندلس[3].

وكما كانت مدينة فاس تعج بهذا العنصر وما يثبت ذلك أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين حين عزم على تجهيز حملة للعبور للأندلس فرض على المدن المغربية عددا من أبناء السودان للاشتراك في الحروب، كما فرض على أهل مدينة فاس ثلاثمائة غلام من سودانهم بنفقاتهم وسلاحهم[4].

---

[1]- المقري التلمساني، المصدر السابق، ص ص367-368.

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص118.

[3]- القاضي عياض، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص87.

[4]- جمال أحمد طه، المرجع السابق، ص159.

ويقول "البكري" الذي عاصر هذه الفترة بأن هناك بعض المناطق في المغرب الأقصى اقتصر سكانها على السودانيين لوحدهم دون وجود عناصر أخرى وهذا بقوله: " ولا يسكن بوادي سفدد أبيض اللون إلا اعتل وقلّ ما يسلم من علته، وإنا يسكنه السودان، وإذا رأوا رجل أبيض اللون قد دخل عندهم ينادي بعضهم بعضا ميز ميز"[1].

أما الإدريسي فيعلل كثرة أعدادهم في المغرب الأقصى من خلال ما ذكره عن أهالي أرض زغاوة السودان وأهلها، إذ أكد أن أهل المدن الذين يجاورونهم يستغلون رحلتهم وغيابهم في صحاريهم، فيختطفون أبناءهم ويخفونهم عندهم مدة ثم يبيعونهم إلى التجار الوافدين عليهم بثمن زهيد، ويخرجونهم إلى أرض المغرب الأقصى ويباع منهم في كل سنة أمم وأعداد لا تحصى[2].

صفوة القول أن السودان شكلوا شريحة من شرائح المجتمع المرابطي حيث اعتمدوا عليهم في غزواتهم، وهذا ما يؤكد فكرة انتشار أعداد كبيرة من السودانيين داخل الوسط الشعبي .

[1]– البكري، المصدر السابق، ص87.

[2]– الإدريسي، المصدر السابق، ص33.

المبحث الثاني: المجموعات البشرية غير المسلمة.

يعتبر أهل الذمة فئة أخرى من الفئات المشكلة للمجتمع المرابطي وهي من الطوائف غير المسلمة ممن تعارف المسلمون على تسميتهم بالذميين، ويقصد بهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

أطلق اسم أهل الذمة على الرعايا غير المسلمين، والذمة هي العهد والأمان والضمان والحق، وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم[1].

وسمي المعاهد ذميا لأنه أعطى الأمان من المسلمين على ذمة الجزية التي تأخذ منه والجزية: هي مبلغ من المال يفرض على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب، وسبب وضع الجزية هو قوله تعالى: "**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوم**

[1]– ابن منظور، المصدر السابق، ص258.

الأخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(سورة التوبة: الآية 29).

وبحكم مشروعيتها قد فرض الإسلام الجزية على الذميين مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان، وأوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في البلاد الإسلامية التي يقيمون فيها، ولهذا يجب بعد دفعها حمايتهم والمحافظة عليهم ودفع الأذى عنهم[1].

المطلب الأول: اليـــــهود.

كان اليهود قبل قيام دولة المرابطين مقيمين في فاس وأغمات، وكانوا يشكلون جزءا صغيرا من السكان الأصليين للمغرب بجانب البربر والروم .

وفي عصر المرابطين دخلت فئة من اليهود إلى المغرب كتجار مقيمين دون أن يخضعوا لأحكام أهل الكتاب، وظلوا يمثلون طائفة مستقلة بشؤونها أو مرتبطة بالأمراء عن طريق الخدمات التي كانوا يقدمونها لهم سواء في الميدان السياسي أو الاقتصادي.

ويعود تاريخ دخولهم إلى المغرب مع الفنيقيين والمهاجرين أيام الاضطهاد الروماني[2]، كما لوحظت هجرات أخرى لليهود في عام 628هـ عندما غادر يهود خيبر الجزيرة العربية عبر اليمن في اتجاه المغرب متخذين الجبال مقرا لهم بعيدا عن الناس،

---

[1]- إيمان عبد الرحمان حسن العثمان، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة للدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف (500هـ -537هـ / 1106م-1142م)، م8، العدد 2/ 15، مجلة كلية العلوم الإسلامية، 2014، ص ص3-4.

[2]- نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص94.

ولا شك أن أعدادهم تزايدت بمرور الزمن، وبذلك شكل اليهود عنصرا من عناصر المجتمع المغربي خلال فترة حكم المرابطين ، فقد كانت فاس مقصدا لهم من كل الأنحاء والبكري يصفها بأنها "أكثر بلاد المغرب يهودا، ويختلفون منها إلى جميع الأفاق"، ومن أمثال أهل المغرب للتدليل عن كثرة اليهود في المدينة "فاس بلد بلا ناس"[1] أي ليس فيها غير اليهود.

ومما يدل أيضا على أن هذه المدينة كانت مملوءة باليهود هي أن المصادر تشير إلى أن "إدريس الأول" لما أرادا بناء مدينة " فاس" اشترى الموقع الذي أقام فيه مدينته عن اليهود، ولما شرع في فتوحه لمنطقة المغرب وجد أكثر سكان تامسنا يهودا فأدخلهم إلى الإسلام وهذا ما دفع توافد اليهود عليه في جموع كثيرة تطلب منه الأمان فأمنهم في أنفسهم وأموالهم بعد أن قبلوا أداء الجزية.

وبصورة عامة فالجاليات اليهودية استمر تواجدها بالمغرب في عهد المرابطين موزعين في عدة مناطق أهمها المدن الكبرى كسجلماسة، مكناسة، ونكور، حتى أن أحد أبوابها يسمى باب اليهود[2]، إضافة إلى فاس التي بقيت تحتوي على جالية ضخمة إلى القرن السادس هجري مما يدل على امتلاكهم الكثير من الأملاك والديار بالمدينة،

[1]– مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي، (من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين)، دار هومة، الجزائر، 2000م، ص124.

[2]– البكري، المصدر السابق، ص90.

بحيث نعمت بالهدوء والطمأنينة خاصة أثناء إمارة يوسف بن تاشفين الذي عاملهم بأحكام الكتاب والسنة[1].

وهكذا استقر اليهود في الحقبة المرابطية في المدن وعلى ملتقيات الدروب التجارية المهمة التي عن طريقها تمر التجارة المغربية إلى السودان عابرة للصحراء، واحتفظوا بدينهم وفضلوا الإقامة في ظل الإسلام والمسلمين على الالتجاء إلى البلاد النصرانية[2].

المطلب الثاني: النصـــارى.

استعمل بعض المؤرخين مصطلح الروم للتعبير عن كل نصارى الغرب المسيحي، فابن الأثير سماهم مماليك الإفرنج والروم[3].

ومع بداية دولة المرابطين بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب وتتمثل هذه الروافد في توافد أعداد كبيرة من المسحيين إلى المغرب وعملها كجنود مرتزقة بالجيش المرابطي، أو على شكل أسرى حروب أوعن طريق تجارة الرق[4] وبهذه الطريقة تكاثر العنصر المسيحي في المغرب خلال الفترة المرابطية.

وأما عن أهم التجمعات السكانية النصرانية بالمغرب الأقصى فتتركز خاصة في العاصمة مراكش، التي اتخذها النصارى أهم مركز لتجمعهم ويعود ذلك أساسا إلى

---

[1]– حمدي عبد المنعم، المرجع السابق، ص337.

[2]– جمال طه، المرجع السابق، ص77.

[3]– ابن الأثير، المصدر السابق، ص226.

[4]– إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث، المرجع السابق، ص70.

كون معظمهم من ضمن الحرس الخاص أو ما يعرف بالحرس الأميري[1]. وأخذ عددهم يتنامى مع مرور الوقت لكثرة استخدامهم في الجيش حتى وصل في عاصمة الدولة لوحدها في أواخر أيام المرابطين أربعة آلاف[2]، ولعل ما يشير إلى زيادة أعدادهم في نهاية الدولة المرابطية أن الأمير تاشفين بن علي عندما خرج لقتال الموحدين سنة 534هـ/1139م كان معه جمعا من النصارى في جيشه[3].

ولم يقتصر التواجد المسيحي على مراكش فحسب بل تعداه إلى مدن أخرى، حيث وجدت جالية مسيحية هامة من النصارى المبعدين من الأندلس في مدينة مكناسة بلغت نحو ثلاثة آلاف، كما كان " لسلا " نصيب هام من هؤلاء المبعدين وكما وجدت أعداد كبيرة منهم في مدينة فاس[4].

ولقد شارك النصارى في مختلف المجالات فعلى الصعيد الاجتماعي كانوا في العهد المرابطي يشتغلون بالزراعة، بالإضافة إلى عملهم كحرس خاص ومهمة تحصيل الضرائب أحيانا، وأيضا حراسة جباية الضرائب أحيانا أخرى .

وأما على الصعيد العسكري عملوا على تقوية الجيش المرابطي، بإدخال طرق جديدة في القتال مستوحاة من البيئة الإفرنجية المختلفة عن البيئة الصحراوية[5].

---

[1]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص23.

[2]– مجهول، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص184.

[3]– ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ص19.

[4]– جمال طه، المرجع السابق، ص87.

[5]– حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص411.

وأخيرا فعلى الرغم أن أهل الذمة تعرضوا في عهد المرابطين إلى عمليات التغريب إلا أنهم تمتعوا بحقوق وتقلدوا مناصب عليا في الدولة وعلى جميع المستويات ولم يتوقف الأمر على هذا الحد، بل شاعت بينهم وبين سكان المغرب روح التسامح سمحت بظهور تأثيرات متبادلة بحكم وجودهم على أرض واحدة، وكان لهذا التعايش تجليات مهمة جعلت للمجتمع المرابطي سيمات واضحة أهمها التنوع الحضاري والإنساني .

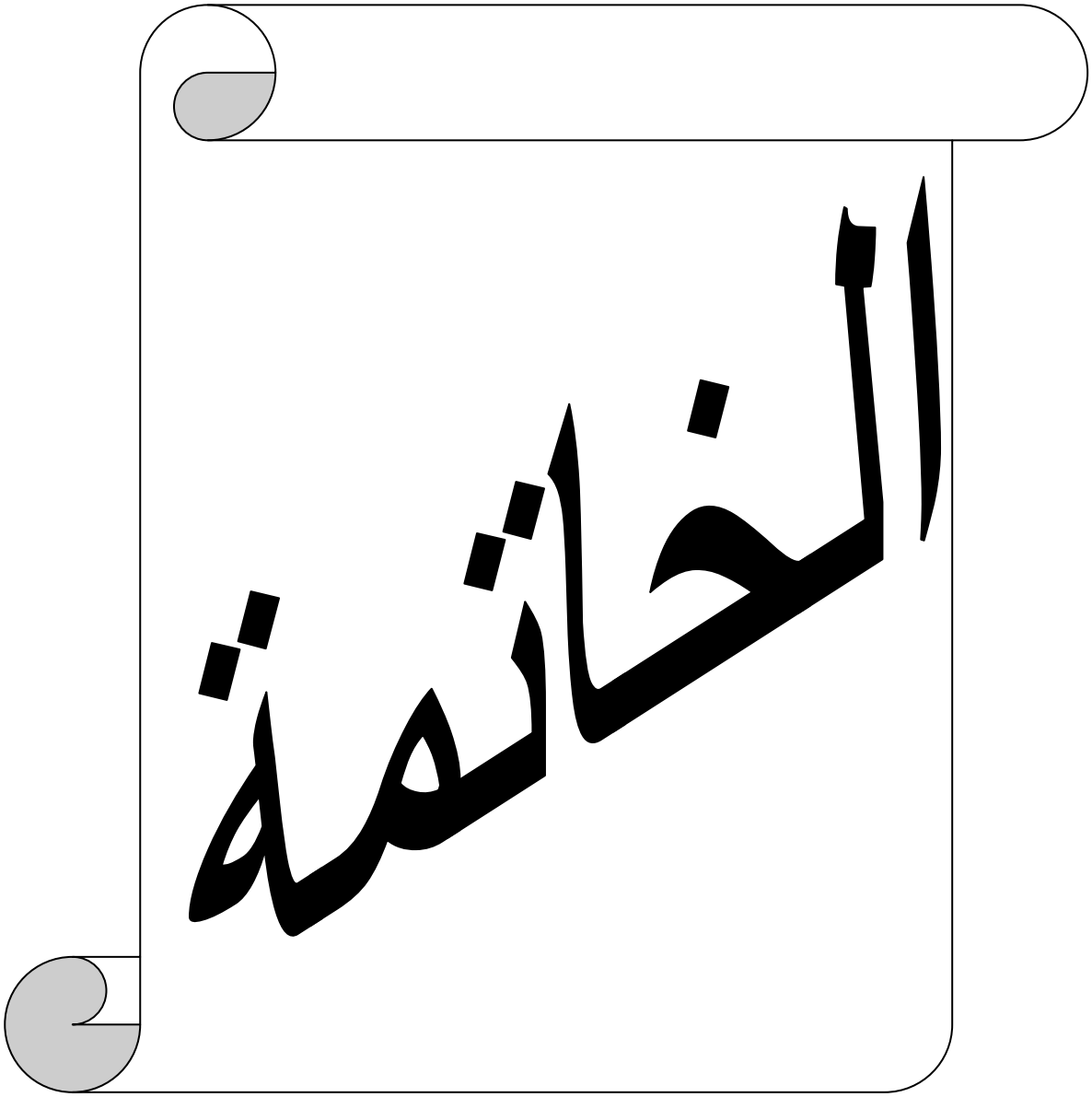
الخاتمة

الخاتمة

خاتمـــــــــــــة :

شهد المغرب الأقصى خلال القرن الرابع هجري فترة مزدهرة اعتبرت من أخصب فترات حياته، حيث قامت على أرضه أكبر دولة عرفتها المنطقة في ذلك الوقت وهي دولة المرابطين التي قامت على أكتاف أبنائها، وتمكنت من بسط نفوذها على مناطق شاسعة للشمال الإفريقي، فقد شهدت الدولة المرابطية ظاهرة التمييز الطبقي فكانت الطبقة الحاكمة تتمتع بوضع اجتماعي مميز يجمع بين السلطة وقوة النفوذ والثراء، في حين عملت الطبقة المتوسطة من التجار وأصحاب المهن الحرة على الحفاظ على مكانتها، وساهمت الطبقة العامة المشكلة من صغار التجار والفلاحين والصناع والحرفيين في دفع العجلة الاقتصادية بالبلاد رغم ما تعرضت له من طرف الطبقة الحاكمة من فرض الضرائب عليهم وأكل مال الأيتام .

كما نتج عن قيام الدولة المرابطية في الميدان الإجتماعي ظهور فئات إجتماعية انتشرت في مدن المغرب، حيث شكل البربر الغالبية العظمى من السكان الذين تأسست على أيديهم دولة المرابطين، وقد شاركهم العرب في الإقامة بالمنطقة منذ أن بدأت الفتوحات الإسلامية لهذه البلاد.

فإلى جانب البربر والعرب عاشت أقليات أخرى كالصقالية والروم والسودانيون وشاركهم أيضا أهل الذمة من اليهود والنصارى في صنع الحياة بالمغرب الأقصى والأندلس، رغم إدعاء بعض المؤرخين الغربيين أن هؤلاء قد اضطهدوا في عصر

المرابطين نتيجة تغريبهم من مواطنهم بالأندلس إلى المغرب وفرض الأموال عليهم، غير أن مسألة التغريب هذه كانت إجراء أمنى تطلبته مصلحة الدولة وأمنها.

ويمكن أن نقول أن الدولة المرابطية استطاعت أن تستوعب جميع السكان الذين عاشوا على أرضها إلى جانب المسلمين، بفضل الأسس والمبادئ الإسلامية التي قامت عليها، فقد كانت دولة ذات نظام عادل يتوفر فيها الأمن والاستقرار.

الملحق

صورة تمثل رجل ملثم وتحديدا هو لباس الترقيين

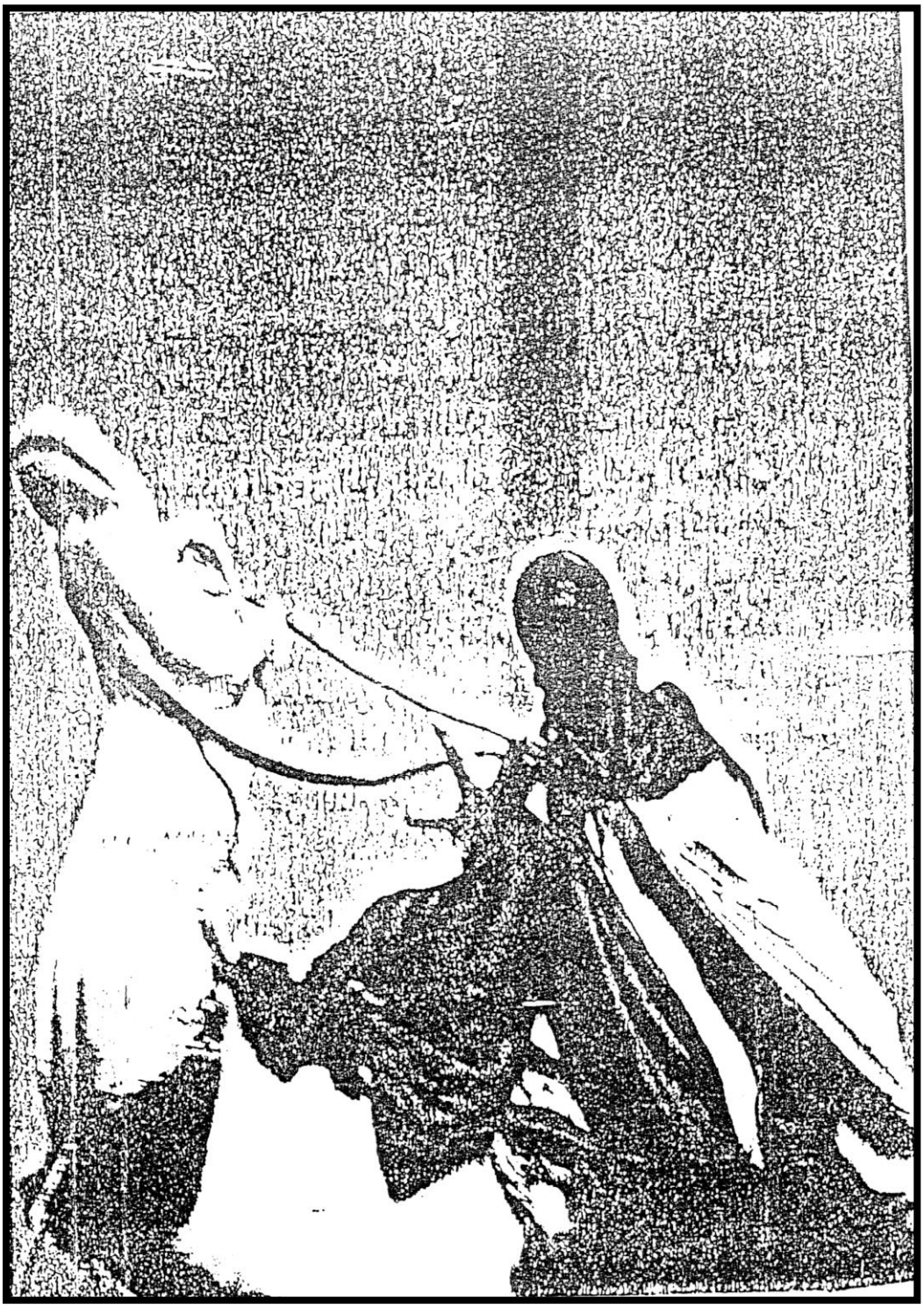

خريطة الدولة المرابطية الكبرى عقب وفاة يوسف بن تاشفين سنة 500هـ[1]

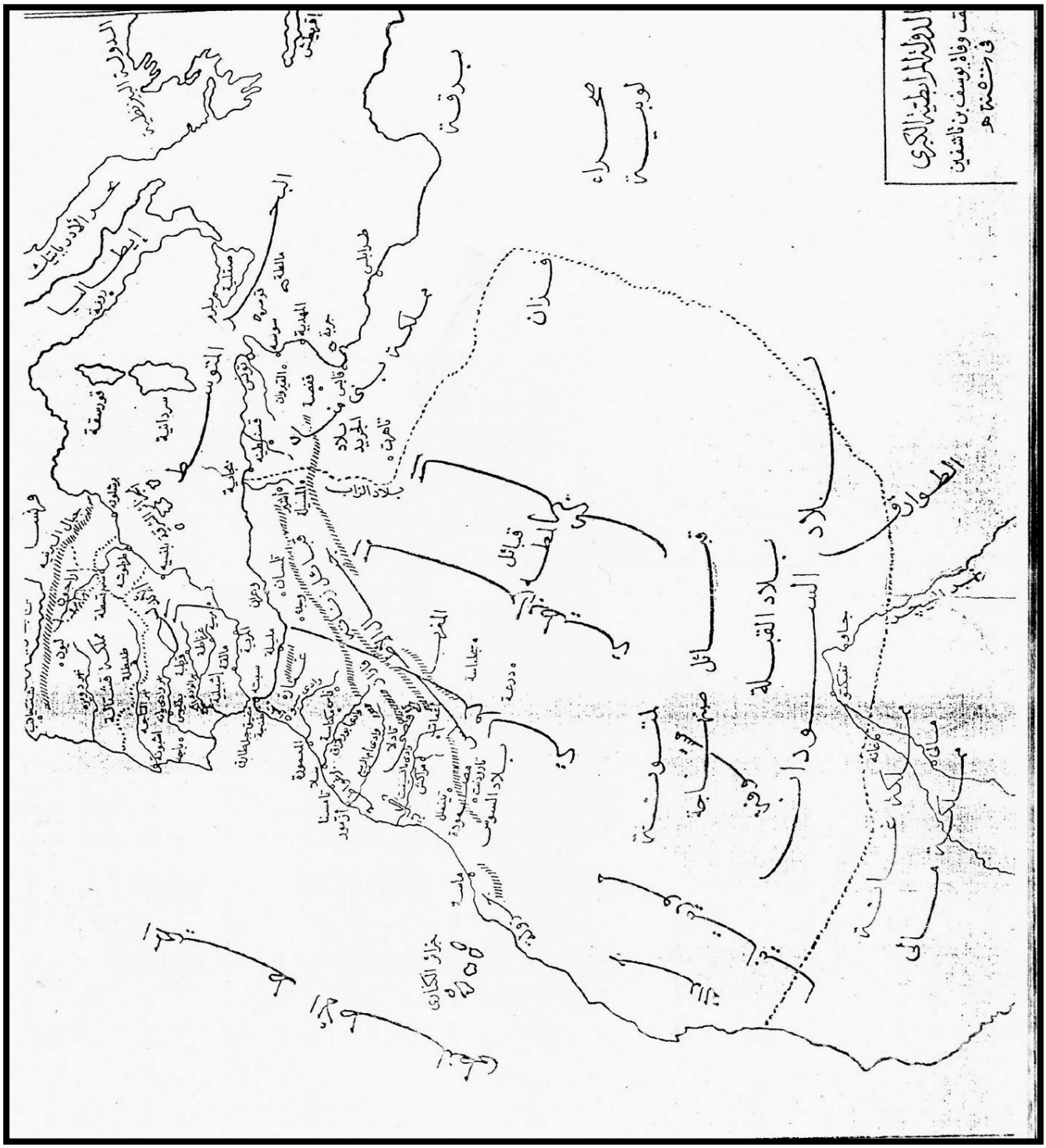

[1] – عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم1 ، ط1، 1964، ص95

خريطة رقم (3)

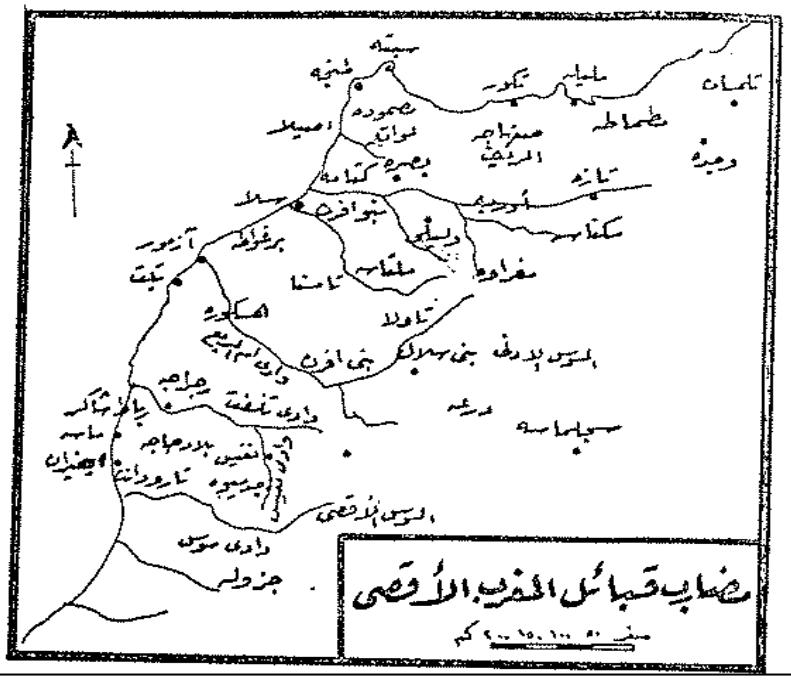

[1]– عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، ط1،دار العرب الإسلامي،بيروت،لبنان،1988،ص93

مناطق التجمعات اليهودية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[1]

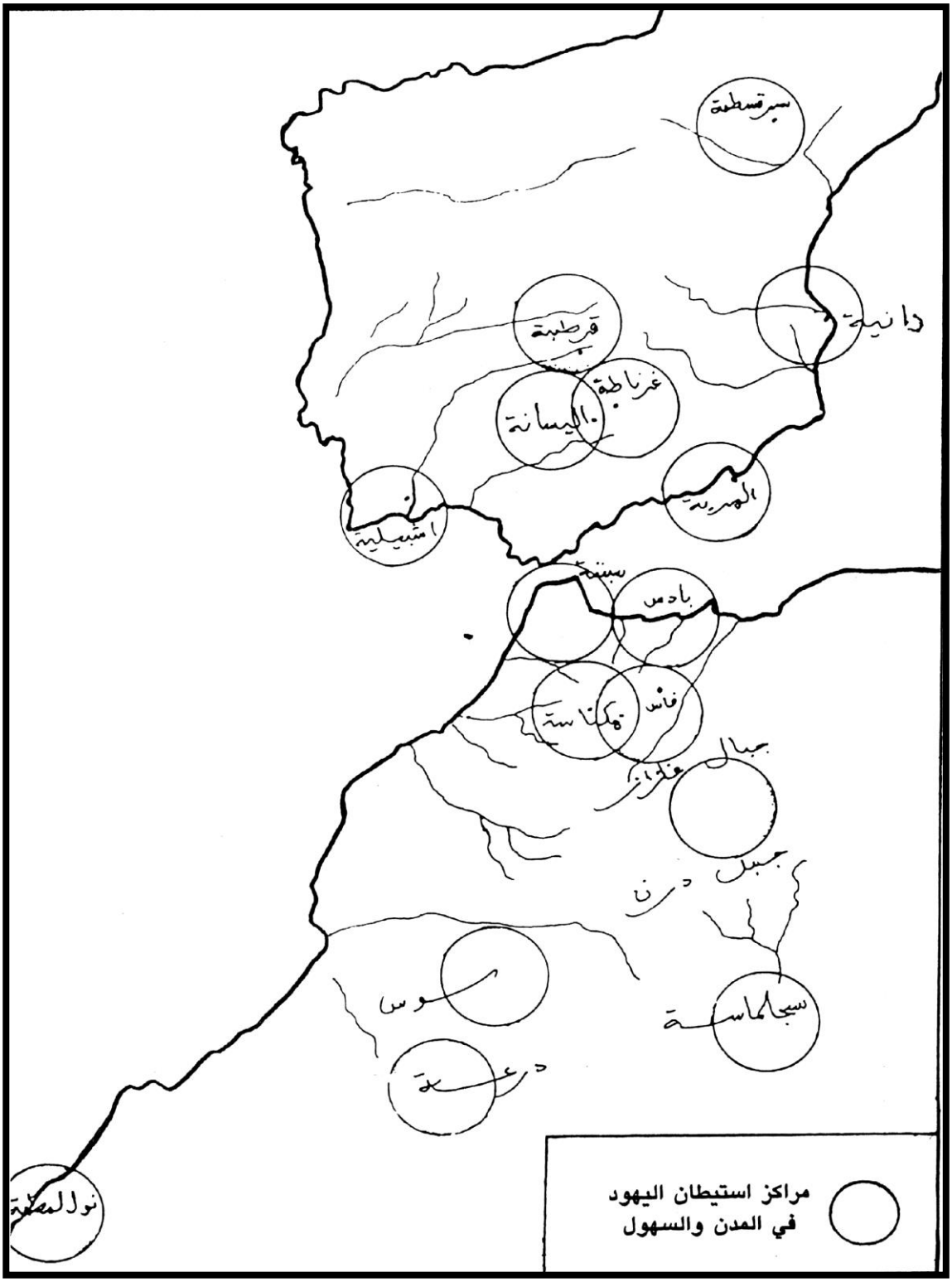

[1] - إبراهيم القادري بو تشيش: المرجع السابق، ص255.

مراكز استيطان المسيحيين في المغرب والأندلس في عصر المرابطين[1]

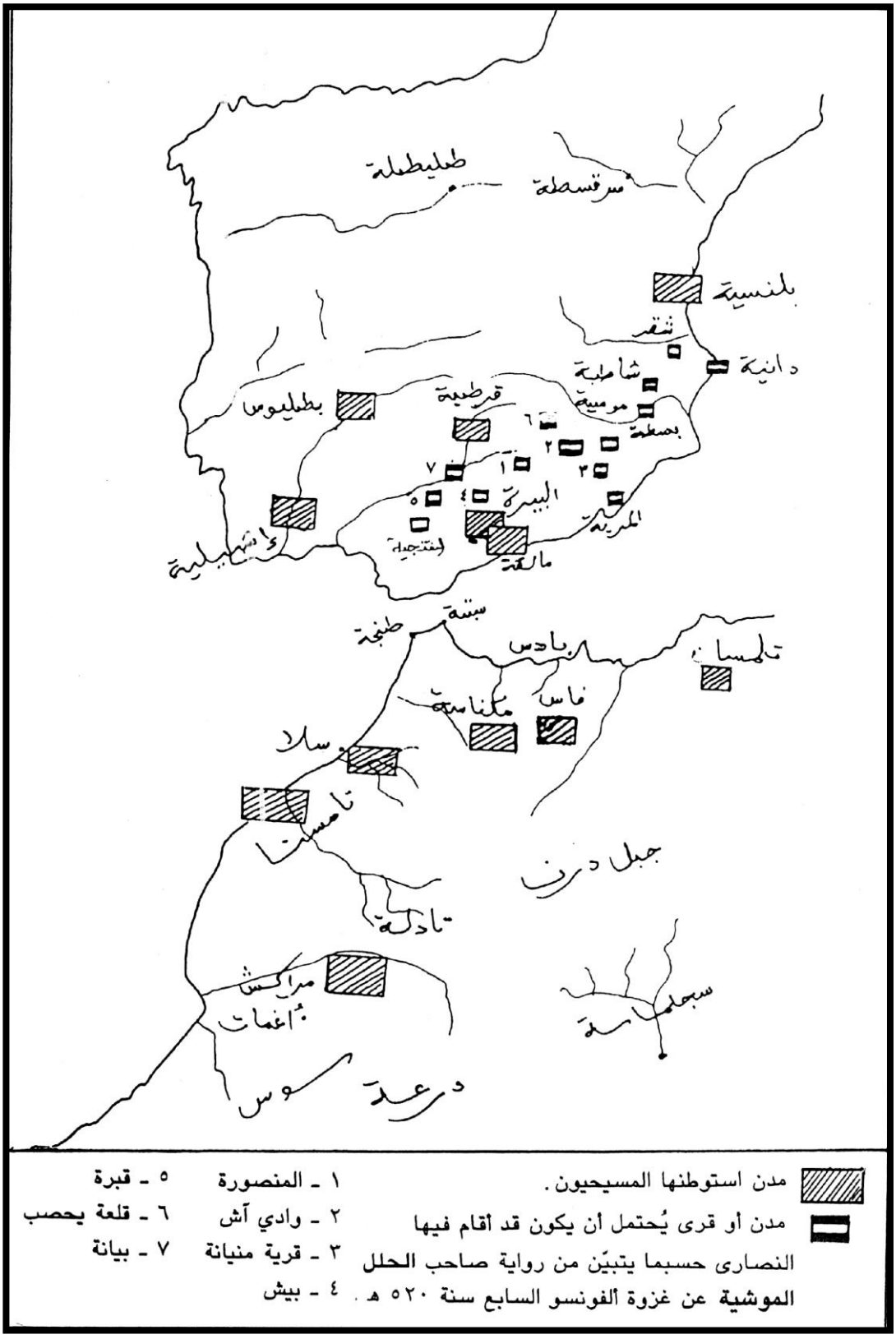

[1] - إبراهيم القادري بو تشيش: المرجع السابق، ص256.

□ ملحق رقم ١:

القبائل العربية في الأندلس وأماكن استقرارها

(مستخرجة من كتاب «جمهرة الأنساب» لابن حزم)

المدينة أو القرية	القبائل العربية المقيمة فيها	الصفحة
شذونة	بنو كنانة، بنو عرمرم، بنو خنثعم،	١٨٩ ـ ٣٦٥
	بنو جدام، بنو زياد اللخميون	٢٩٢ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٣
سرقسطة	بنو عبد الدار، بنو كعب	١٢٧ ـ ٣٦٥
	التجيبيون، بنو فوارتش	٤٣٠ ـ ٤٥٠
طلبيرة	بنو بعدلة	٢١٨ ـ ٢١٩
قلعة رباح	بنو حارثة	٣٤١
دلاية	بنو عذرة	٤٥٠
دروقة	التجيبيون (فرع آخر)	٤٣٠ ، ٥٠٠
قلعة أيوب	التجيبيون (فرع آخر)	٤٣٠
قرمونة	قبائل نمارة	٣٢٧
قبرة	بنو عمر بن أد	٢٠١
قرية اختيانة بقبرة	بنو قطنين	٣٦٣
البيرة	بنو أسد، بنو مرة، بنو قشير	١٩٦ ـ ٢٥٢
	آل عطيف، دار همذان،	٢٩٠ ـ ٣٩١
	بنو خولان	٣٩٧ ـ ٤١٨
	بنو خشين	٤٥٥
مرسية	بنو ملكان	١٩٩
مورور	دار بلي	٤٣٣
وادي الحجارة	بنو قتيبة	٢٤٦
وادي آش	بنو خويلد (فرع من بني سعد)	٢٩٢ ـ ٤٠٨
بجانة	جرش	٤٣٦
باجة	الزهريون، بنو منذر	١٣٢ ـ ٢٦٧
	آل حفص بن أحمد بن عمار	٣٣٣
تدمير	بنو أفصى، بنو منهب	٢٤٠ ـ ٣٨٣
	بنو جدام	٢٤١
بسطة	دار طيىء	٤٠٤
بلنسية	آل جحاف	٤١٩
بطليوس	الزهريون من بني زهرة	١٣٢
أربونة	بنو نجبلة	٣٩٠

الجزيرة الخضراء	بنو كنانة، بنو جذام بنو لخم	١٨٩ ـ ٤٢١ ٤٢٤
جيان	فرع من بني ثعلبة، بنو عبد الخالق بنو الضباب، بنو قسير، بنو خويلد، بنو منخل بنو عذرة، بنو خشين	١٩٢ ـ ٢٤٦ ٢٨٧ ـ ٢٩٠ ٢٩٢ ـ ٤١٩ ٤٥٠
إشبيلية	بنو عائشة وبنو سعيد (فرع من بني غطفان) دار بني مرة، بنو مالك بنو بشتغير وبنو يريم بنو مازن	 ١٠٤ ٢٤٩ ـ ٢٥٤ ٣٩٢ ٤١٢
قلعة يحسب مالقة لبلبة	بنو عنس بن مذحج الشعبانيون بنو زيان (من أعقاب عمر بن عبد العزيز) بنو سلول	٤٠٦ ٤٣٣ ١٠٥ ٢٧٢
قرطبة	أعقاب العباس بن الوليد (أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي) بنو سعيد الخير (من أعقاب عبد الرحمن بن معاوية) بنو زيان (من أعقاب عمر عبد العزيز)، ولد عمارة، بنو الحسبن الطبنيون	 ٨٩ ٩٥ ١٠٥ ١١٥ ـ ٢٢٠
قرطبة	بنو عك بن عدنان، بنو ربيع، بنو هارون، بنو خولان، داربلي	٣٢٩ ـ ٣٣٣ ٤١٨ ـ ٤٤٣
أونبة (لبلة)	بنو سلول، بنو مطروح قبائل نمارة، بنو حراز، بنو خشن	٣٢١ ـ ٣٢٧ ٤٣٥ ـ ٤٥٥ ٤٥٥
ريّة	أعقاب العباس بن الوليد (أحد حفدة الوليد بن عبد الملك الأموي) بنو النمر، بنو عشيم بنو الأشمر، أعقاب زيد بن يشحب بنو زياد، ذي رعين بنو شهد، بنو قين	 ٨٩ ٣٠٢ ـ ٣٤٧ ٣٩٨ ـ ٤١٩ ٤٢٣ ـ ٤٣٤ ٤٤٧ ـ ٤٥٤

□ ملحق رقم ٢:

القبائل العربية وأماكن استقرارها في الأندلس

(مستخرجة من «فرحة الأنفس» لابن غالب برواية المقري)

المدينة أو القرية	القبائل العربية وبطونها المقيمة فيها
إشبيلية	البلويون، الحضرميون بنو لخم، بنو الباجي، بنو زهرة، بنو الوافد، بنو إياد، بنو هوازن
غرناطة	الحضرميون، بنو المنتصر، بنو القليعي، بنو سماك، بنو عبد السلام، بنو هوازن، الهمذانيون، نمير بن عمر، بنو عطية، بنو عبد البر
شقورة	بنو غافق
قلعة بني سعيد	بنو سعيد اليحصبيون
حصن المدور	المخزوميون
مرسية	الحضرميون، منزل طيىء
وادي آش	ربيعة بن نزار
بلنسية	بنو هوازن
تدمير	بنو هذيل، بنو عذرة
منطقة بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية	بنو خولان
قلعة رباح	بنو جرام، بنو تجيب
قرية صالحة (قرب مالقة)	بنو القليعي
قرطبة	بنو سراج، بنو كلب بن وبرة، الحضرميون، الأصبحيون، بنو حمديس، بنو جهينة
أونبة (لبلة)	البكريون
بطليوس	الحضرميون

قائمة المصادر والمراجع

➢ قائمة المصادر:

1- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل يوحن تورنبرغ، طبع مدينة أوبسالة، 1843م.

2- ابن الأبار، الحلة السيراء،تح: حسين مؤنس، القاهرة، 1963م.

3- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، مج9، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

5- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مج1، ط1، منشورات بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،2003م.

6- ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تح: إحسان عباس، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981م.

7- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

8- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تح: محمد هارون، ط5،دار المعارف، مصر.

9- ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

10- ابن حيان الأندلسي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ،2006م.

11- ابن خاقان، قلائد العقيان، ط1،مطبعة دار القلم، 1990م.

12- ابن خلدون، كتاب العبر والمبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج6، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1992م.

13- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح:إحسان عباس، ج7، دار الصادر، بيروت.

14- ابن عبد البر، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة، القاهرة، 1350هـ.

15- ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: محمد عبد القادر شاهين، ج2، المكتبة المصرية، بيروت، 2004م.

16- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ج4، ط2، دار الثقافة، بيروت ، لبنان، 1980م.

17- ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة الفحامية، مصر.

18- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، مج 12، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
19- الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، المطبعة الشرقية ، ليدن، 1866م.
20- -الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، 1979م.
21- البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، تح: دي سلان، ط2، باريس، 1911م.
22- الجزنائي، زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تح: مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م.
23- الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م.
24- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،ط1، مطبعة العلمي، القاهرة، 1989م.
25- القاضي عياض، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تح: محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990م.
26- الغزالي، كتاب أحياء علوم الدين، ج1، دار الفكر، 1980م.
27- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الاسكندرية، 1958م.
28- مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبارالمراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979م.
29- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج2، دار الصادر، بيروت، 1968.
30- النويري، نهاية الأرب، تح: عبد المجيد ترحيني، مج11، ج24، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.
31- الونشريسي، المعيار المغرب والجامع في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

➢ قائمة المراجع:

1- ابراهيم القادري بوتشيش، إضاءات حول تراث المغرب الإسلامي وتاريخه الإجتماعي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2002م.

2- ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس(خلال عصر المرابطين) ، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995م.

3- ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار السلم، الدار البيضاء، 1965م.

4- أحمد مختار العبادي، الصقالبة في أرض اسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعوبية، مدريد، 1953م.

5- ايمان عبد الرحمان حسن العثمان، التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطية في عصر علي بن يوسف 500هـ-537هـ/1106م-1142م، م8، العدد2/15، مجلة كلية العلوم الإسلامية، 2014م.

6- جمال أحمد طه، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (448هـ-1056م/668هـ-1259م)، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،2002م.

7- جمال طه، الحياة الاجتماعية للمغرب الأقصى في العصر الإسلامي(عصر المرابطين والموحدين)،ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004م.

8- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج4، ط3، مكتبة النهضة، القاهرة، 1991.

9- حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ العرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب الحديث، 1996م.

10- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.

11- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي،م3، ج2، ط1، بيروت، لبنان، 1992م.

12- حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية.

13- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد، مكتبة الأسرة، 1992م.

14- حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1997م.

15- سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، القاهرة، 1998م.

16- سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1985م.

17- عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 2010م.

18- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج1، الطبعة الملكية، الرباط، 1968م.

19- عثمان العكاك، البربر ، ج2، جبل المنار، جمادى الأولى 1375هـ.

20- عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط1، دار الشروق،1983م.

21- عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1116م-1151م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

22- عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 1988م.

23- علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2006م.

24- علي محمد محمد الصلابي، الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003م.

25- محمد أسعد أطلس، تاريخ العرب، م1، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1979 م.

26- محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، ج1، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، 2006م.

27- محمد عبد الهادي شعيرة، المرابطون تاريخهم السياسي، ط1، القاهرة، 1969م.

28- محمود اسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، 1975م.

29- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي(من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين)، دار هومة، الجزائر، 2000م.

30- نبيلة حسن محمد، تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.